

13
لَمُنْفَعٍ مِنَ الضَّلَالَةِ

ومع

كَيْمَاءِ السَّعْيِ وَالْقَوْلِ عِنْدَ الْعِشَةِ وَالْأَدَبِ فِي الدِّينِ

لِلْعَلَامَةِ الْإِمَامِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ

أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ

قُدْسَ اللَّهِ رُوحَهُ وَنُورَ ضَرْحِهِ

تَطْبِيقُ وَتَصْحِيحُ

فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ

الْمَقْنَنِيِّ بِالْأَزْهَرِ وَالْمَعَامِدِ الدِّينِيَّةِ

حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

يَطْلُبُ مِنْ

مَكْتَبَةُ الْبَحْثِ وَالنَّضْرِ

بِسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ بِمَعْرِ تَلِيفُونَ ٧٤٥١٨

نعيم وفي طبقات الشعراني ورسالة القشيري كثير من عباراتهم التي يؤخذ منها روح منهجهم العام وذكر في طبقات الشعراني كثير من عبارات متصوفة المشيخة والإرادة وإليك طائفة من عبارات وأحوال متصوفة الطورين ومن التأمل في هذه العبارات والأحوال تدرك مدى ما بين الطورين من السمو والانحطاط كان أويس القرني وهو من الرعيل الأول في تصوف المسلمين لا يرى إلا كل سنة أو سنتين مرة لأنه لما نسب إلى الجنون بنى له خصا على باب داره فكانوا لا يرونه يخرج إلا في النادر ، قال له رجل أوصني فقال : وصيتي إليك كتاب الله تعالى وسنة المرسلين وصالحو المؤمنين ، وطلب شخص أن يجالسه فقال يا أخى لا أراك بعد اليوم فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي ، إني كثير الغم مادمت مع الناس في هذه الدنيا فلا تسألني ولا تطلبني بعد فراقك فإني لا أنساك يا أخى وإن لم أرك وترني ، وكان إبراهيم بن أدهم يغلق بابه من خارج فيجئ الناس فيجدونه مغلقا فيذهبون وقال سهل بن عبدالله مخالطة الولي للناس ذل وتفرده عنهم عز وقلها رأيت وليا لله حزو جل إلا منفردا وقال إبراهيم الخواص لقيت الخضر عليه السلام في بادية فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد علي توكلى بالسكون إليه ففارقته وقال أبو يزيد البسطامي أن أولياء الله مخدرون في جنان الانس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة وعرف الجنيد سيد هذه الطائفة التصوف فقال : هو صفاء المعاملة مع الله تعالى واصله الصبر عن الدنيا كما قال حارثة صرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى . وكان رضى الله عنه يقول : الغفلة عن الله تعالى

أشد من دخول النار ، وكان يقول : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فلا يلق الناس فان هذا زمان وحشة فالعاقل من اختار فيه العزلة هذه بعض عبارات وأحوال المتصوفين في فجر الإسلام على نهجهم تصوف الغزالي فطرح جميع العالم وأمسك الشريعة بظاهره واعتصم بالنبي بباطنه وصدق بالعين الباطنة التي مثلها كثيراً بالباصرة في صفات الحق والاستغراق في التنزيه والتوحيد حتى امتلأ أناؤه من العلوم والمعارف التي ينهل منها كل من أشرف على هذه الرياض فالتصوف عنده كمن سبقه أحوال ومقامات ومجاهدات ومكاشفات وسياحات . وقد كان حرص المتصوفة في فجر الإسلام شديداً على أن يعرف كل واحد منهم مبلغ ما وصل إليه زميله وبماذا وصل فلم يتلمذ أحدهم للآخر كانت جمعياتهم قليلة والتقاءاتهم نادرة يقصدون التفرد والبعد عن الشواغل والصور الحاجبة عن السير ثم فترت الهمم فأصبح التصوف مشيخة وإرادة واشتغل المريدون بشيوخهم واشتغل الشيوخ بمريديهم ثم تركزت هذه الصناعة حتى أصبحت حجراً روحياً بين كل طائفة وطائفة وأصبح الشيخ يعرف مریده في صلب أبويه فلا يمكن أن يتعدى على مریده أحد بعد أن أصبح في خرقة فاسمع السهروردي في عوارف المعارف حين يتكلم على لبس هذه الخرقة .

« لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المرید وتحكيم من المرید للشيخ في نفسه والتحكيم سائق في الشرع لمصالح دنيوية فإذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يتقصد شيخاً يحسن ظن و عقيدة بحكمه في نفسه لمصالح دينه ويرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجهيد ويبصره

بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم
لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه
فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ
دخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعه مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق
أنه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر وهو
كما قال ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون
لها كهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر
يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وسمعت كثيراً من
المشايخ يقولون من لم ير مفلحاً لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم
والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء فالمريد الصادق إذا دخل
تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى
باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید
ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى
المرید بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حصر نفسه
مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفتى في الشيخ بترك اختيار نفسه
فبالتألف الإلهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة
الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متادباً بترك

الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك انتهى .

هذه صورة من تصوف القرون الوسطى ومدرسته أى مدرسة ما بعد الغزالي وهى أى مدرسة المشيخة والإرادة لم تخرج مثل الغزالي بل أكابر هذه المدرسة لم يلحقوا بالغزالي إلا بعد إن نزعوا عنهم لباس المشيخة والإرادة فهذا أبو الحسن الشاذلى سأله سائل من شيخك ؟ فقال كنت أنتسب إلى للشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر محمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر وقد انتقل حال الشاذلى إلى تلميذه الأكبر سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه فانه لم يتفق بالأنوار إلا من حضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه : لى أربعون سنة ما حجت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو حجت طريقة عين ما عدت نفسى من جملة المسلمين وقال القطب الكبير سيدى إبراهيم الدسوقى « وأن رسول الله شيخى وقدوتى » وأياما كان فالتصوف لا بد له فى سيره من روح تلازمه وترضعه وتسقيه فأصحاب الهمم العالية لم يرضوا بغير النبي صلى الله عليه وسلم إماماً ورفيقاً وهؤلاء أعلام الصوفية ومنهم من انحط للرى من الأنهار والمساقى فبعد عنه الساقى وتغير عليه الماء من كثرة مامر فى السبل والطرقات والغزالي شرب من النبع الأول فصفا شرابه ونفع الله بعلومه الناس .

وقد تحقق عندي بالوجدان الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم
لا زال يرى رجال الله بالتربية الباطنية التي خصه الله بها كما خص بها بعض
كلمة الهداة من أعلام الطريق وأن من سبقت له العناية يسوقه الله إلى هذا
المورد الأصفي وقد قال سيدي الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي عن نفسه « لست بميت وإنما موتي
عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله وأما من يفقه عن الله فهذا أنا أراه
ويراني » وألف ابن خلدون رسالة في أن الشيخ ليس بلازم في الطريق
وقد علمت أن الصحبة في طريق أهل الله إنما كانت في بدء ظهور التصوف
للنصح أما التربية والسقيا فما كانوا يخصوصون بها أحداً غير النبي صلى الله
عليه وسلم فالزم طريق السلف ولا تقيد نفسك بخرقة إنما قيدها
بالسنة والشريعة ففي حضرة الاطلاق رتع المحبون ؟

محمد محمد جابر

من علماء الأزهر والمدرسين به

نبذة من ترجمة الامام ابي حامد الغزالي

مولده و منشؤه : — ولد الغزالي في مدينة طوس من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الرشد . فنشأ معتمداً على نفسه . مندفعاً إلى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة في تلك النفس الكبيرة . فتلقى مبادئ العربية والفقهاء في بلده . وانتقل إلى جرجان فقرأ مبادئ الأصول على أحد أعلامها وعاد إلى طوس .

رحلته : — ولم يمكث الإمام طويلاً ببلدته بعد أوبته من جرجان ، فقام برحلته العلمية التي أرشدته إلى العلم الصحيح ، وأذاعت شهرته في الخافقين فقصد نيسابور حيث لازم إمام الحرمين الجويني مدة انتهت بوفاة الجويني سنة ٤٧٧ هـ وانتقل إلى العراق وقد سبقه اسمه إلى تلك الآفاق ، فاتصل بالوزير نظام الملك ففوض إليه مهمة التدريس بمدرسته (النظامية) ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقام بيت العلم ويصنف الأسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره إلى مفارقة العراق ، فرحل إلى الحجاز حاجاً ثم أتى الشام فأقام في القدس نحو سنتين ، ورحل إلى الديار المصرية فنزل بالاسكندرية ، وعاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه - طوس - منقطعاً إلى العبادة ، فألزمه نجر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور فدرس بها مدة قصيرة وعاد إلى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس .

مصنفاته : — قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الإمام الغزالي، وقد ترجم الكثير منها إلى اللغات الأجنبية كرسائله

- الولدية - فقد ترجمت إلى الألمانية باعثناء العلامة - فون هامر بورغستال
 النمساوى - والدره الفاخرة في أحوال الآخرة - ترجمت إلى اللغة
 الفرنسية باعثناء العلامة غاوتيه . ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب
 الغزالي بقي محفوظا لم يصبه ما أصاب سواه من الضياع والاندثار ، وفي
 هذا دليل على إقبال العلماء والمتعلمين في أيام الغزالي وبعده على نقل
 مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها - ومن جملة المطبوع من كتبه في
 مصر وغيرها على ما انتهى إلينا العلم به .

إحياء علوم الدين ، المنقذ من الضلال - الذى نحن الآن بصدده -
 عمدة المحققين ، تهافت الفلاسفة ، الدرر الفاخرة مكاشفة القلوب ، منهاج
 العابدين ، بداية الهداية ، وسر العالمين ، المضمون به على غير أهله ، الأجوبة
 الغزالية والمسائل الأخروية ، محك النظر ، المقصد الأسنى ، الحكمة في
 مخلوقات الله ، الاقتصاد في الاعتقاد ، إجماع العوام ، المستصفي ، الوجيز ،
 آداب الصوفية ، الكشف والتبيين ، معارج القدس في مدارج معرفة
 النفس « جواهر القرآن » الأربعين في أصول الدين « ميزان العمل » معيار
 العلم ، مقاصد الفلاسفة ، القصيدة الهائية ، القصيدة التائية أضف إلى هذا
 المجموعة المسماة بالجواهر للغزالي وفيها عشر رسائل أخرى وهى - كيمياء
 السعادة ، الرسالة اللدنية ، الأدب في الدين ، أيها الولد ، فيصل التفرقة
 القواعد العشرة ، مشكاة الأنوار ، رسالة الطير ، الرسالة الوعظية ،
 القسطاس المستقيم ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة و المدخل

الحمد لله الذي يفتح بحمده كل رسالة ومقالة ، والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة والرسالة ، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة .
 أما بعد : فقد سألتني أيها الأخ في الدين ، أن أثبت إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وما استجرات عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع (١) الاستبصار ، وما استفدته أولاً من علم الكلام ، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام ، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف (٢) وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف ، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الحق من لباب الحق ، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، وما دعاني إلى معاودتي نيسابور بعد طول المدة ، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك

- (١) يقع الغلام راهق العشرين أو ترعرع وناهز البلوغ .
 (٢) تفلسف الرجل تعاطى الفلسفة والفلسفة الحكمة . وعتد المتأخرين معرفة الأشياء بعلمها .

وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوثقا منه ، وملتجئا إليه .

إعلموا - أحسن الله تعالى إرشادكم ، وألان للحق قيادكم ، أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب وكثرة الفرق وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجامنه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » هو الذي وعدنا به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه ، وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة . الناجية منها واحدة (١) » ، فقد

(١) الحديث في افتراق الأمة موجود في الصحيحين وفي السنن الأربعة « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » يقول العبد الضعيف إنني لا أدري أكان تقحم الغزالي وتفحصه للمذاهب والعقائد مدى ثلاثين عاما عمليا سلبيا أو إيجابيا قدم به الغزالي للامة الاسلامية ثقافات جديدة أم هو ضياع وقت ثمين من عمر فيلسوف عظيم كالغزالي ، إن البحث عن الحقيقة بعيداً عن الكتاب والسنة ومناهج الصحابة والتابعين واشتغال علماء المسلمين وفلاسفتهم بالالهيات التي لم يأمرهم القرآن بالبحث فيها وترك الجهاد والفتح ونشر الدعوة أضعاع على المسلمين فرصا ذهبية في نشر دعوتهم وثقافتهم لو أن فلاسفة الغرب أضعوا أعمارهم في علاقة المادة بما وراءها أو في أن الذات لها صفات أم لا أو في القدر أو في الأرجاء لم وصلوا إلى امتلاك ناصية الكرة يدبرونها كما يشاءون ويسخرون المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عبيداً أذلاء يتصرفون في ديارهم وأموالهم تصرف الوصي على السفية والمسلمون مشغولون بتكفير بعضهم بعضا .

كاد ما وعد أن يكون .

ولم أزل في عنفوان شباني ، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين ، اقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور . لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة . واستكشفت أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ، ومتسنان ومبتدع لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطانته ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلميا إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا (١) معطلا (٢) إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جراته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمرى وريعان عمرى ، غريزة وفطرة من الله وضعنا في جبلتي ، لا باختياري وحيلتى حتى انحلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد شرة (٣) الصبا إذا رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم

(١) الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الايمان — فارسية معربه — .

(٢) المعطلة فرقة تقول بأن الله عام بذاته سميع بذاته لا بصفة زائدة فهم

معطلون للصفات ،

(٣) شرة الشباب أو الصبا نشاطه .

نشوء إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لانشوء لهم إلا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . وسمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (١) فتحرك باطنى إلى حقيقة الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتميز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفى تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات ، فقلت فى نفسى ، إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهى ؟ فظهر لى أن العلم اليقيني هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعبانا ، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ، فإنى إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لى قائل : لا ، بل الثلاثة أكثر بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم أشك بسببه فى معرفتى ، ولم يحصل لى منه إلا التعجب من كيفية

(١) رواه البخارى بلفظ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودا أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ « كل إنسان تله أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فان كانا مسيلين فمسلم - كل إنسان تله أمه يلكزه الشيطان فى خصيب إلا مريم وابنها . »

قدرته عليه ! فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني .



(١) مداخل السفسطة (١)

وجهد العلوم

ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسيات والضروريات . فقلت : الآن بعد حصول اليأس لا مطمع فى اقتباس المشكلات إلا من الجليات ، وهى الحسيات والضروريات . فلا بد من إحكامها أولا لا يتقن أثقتى بالمحسوسات وأمانى من الغلط فى الضروريات ، من جنس أمانى الذى كان من قبل فى التقليديات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق فى النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غائلة له ؟ فأقبلت بجد بليغ اتأمل فى المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكنى أن أشكك نفسى فيها ؟ فانتهى بى طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسى بتسليم الأمانى فى المحسوسات أيضا ،

(١) السفسطة والسفسطة المغالطة وهى قياس مركب من الوهميات والنسبة إليه سفسطى وربما قيل سوفسطائى يونانية معربة .

وأخذ يتسع (١) هذا الشك فيها ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ، وأقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك ،

(١) الواقع أن هذا الحال عند الغزالي لم يكن من خصائصه فلقد مر هذا الدور على جميع أكابر العارفين ويسمون هذا المقام بمقام الحيرة ، مر العلاج وهو مقيد في يد الشرطة على بعض الحوارى فسأل ما هذه الحارة فقيل له هذه حارة اليهود فقال والله ما حارة اليهود وإنما حارت الأنبياء والذين يريد الله اصطفاءهم لحضرتهم يتدرج بهم في طرائق معرفته عن طريق مخلوقاته في الملك والملكوت فيريهم آياته ويسيع عليهم نعمة معرفته والاطمئنان إليه أن الوصول إلى المحبوب من أقصر طريق لا يجعل للحجة لذة ولكن المكابدة والتخبط في السبل ثم الوصول إلى المقصود يمكن المحبة ويجعل المحبوب في المكان الأرفع ، وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ، ولما فوجيء السيد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في غار حراء بسيدنا جبريل فزع وخاف على نفسه وذهب إلى خديجة وأخبرها الخبر فبعثت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ولما حضر طمان الرسول على حاله وأخبره أن هذا هو سبيل الأنبياء يفاجئون بالحقيقة فلا يدرون أفي يقظة هم أم في منام أيرون الحق أم هم في أوهم ثم تنكشف شمس الحقيقة لمن سبقت لهم من الله الحسنى .

وتحكم بنفي الحركة؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدرج ذرة ذرة، حتى لم تكن له حالة وقوف وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار الدينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار. وهذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحسن بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكديبا لا سبيل إلى مدافعته فقلت: قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا، فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات، كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد لا يكون حادثا قديما، موجوداً معدوماً، واجبا محالاً. فقالت المحسوسات، بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي؟ فلعل وراء إدراك العقل حاكما آخر، إذا تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلى ذلك الإدراك، لا يدل على استحالته. فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا، وأيدت إشكالاتها بالمنام وقالت: أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتحيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقراراً ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل؟ فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون

يقظتك نوما بالإضافة إليها ! فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها ، ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم : إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » فلعل (١) الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة فاذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » فلما خطرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس ، حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل ، ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية . فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل فأعضل هذا الداء ، ودام قريباً من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال

(١) وقد سار الغزالي مع ديكرت في الطريق الذي ملكه أعنى طريق الشك ثم اليقين وإن كانت النتيجة التي وصلت إليهما لبست شكلاً يناسب ثقافة كل منهما فالغزالي بعد ما شك في البدهيات قذف الله في قلبه نوراً اطمأن به وذهب عنه الشك من تراكم الأتوار الآلهية من تلك الحقيقة الوجودية والفيلسوف الفرنسي حصلت عنده هذه الوجدانيات من قرارة نفسه وهي مظهر من عالم الغيب فلم يشك في نفسه التي سطعت فيها مرآة الحقيقة .

ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ، ولما سئل رسول الله عليه السلام عن « الشرح » ومعناه في قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » فقال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » فقيل : « وما علامته » ؟ فقال التجاني عن دار الغرور والإنافة إلى دار الخلود وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره (١) » فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحياء ، ويجب الترصد له كما قال عليه السلام « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » (٢) والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجهد في الطلب حتى ينتهي إلى طلب ما لا يطلب . فإن الأوليات ليست مطلوبة ، فإنها حاضرة .

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي وابن جرير والطبراني والحاكم إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، وحديث شرح الصدر المذكور في تفسير أبي السعود والنسفي .

(٢) معنى هذا رواه ابن النجار عن ابن عمر ورواه البيهقي وأبو نعيم والحكيم عن أنس والبيهقي عن أبي هريرة باللفظ « اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن له نفحات من رحمته » الحديث .

والحاضر إذا طلب فقد واختفى. ومن طلب ما لا يطلب، فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب.

أصناف الطالبين

- ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده،
انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق:
- ١ - المتكلمون: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر.
 - ٢ - الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.
 - ٣ - الفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.
 - ٤ - الصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة (١).

(١) ليت شعري أين الفرقة التي أخبر عنها الصادق المصدوق بقوله « ما أنا عليه وأصحابي، وهو ما أخبر عنه القرآن بقوله « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، أفادت الآية أن طريق الحق واحدة وأن للباطل طرقاً متعددة لا واحدة وتعددتها لم يحصى بعدد مخصوص وهذا الحديث مفسر للآية وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً وخط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله فقال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فقال للخط المستقيم « هذا سبيل الله، وللخطوط التي عن يمينه وشماله هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ففي =

فقلت في نفسي : الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة فهو لاء هم
السالكون سبل طلب الحق فإن شذ الحق عنهم ، فلا يبقى في درك الحق
مطمع ، إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتة إذ من شرط

— الحديث أنها خطوط متعددة غير محصورة بعدد فلم يكن لنا سبيل إلى
حصر عددها من جهة النقل ولا لنا أيضاً سبيل إلى حصرها من جهة
العقل والاستقراء . أما العقل فإنه لا يقضى بعدد دون آخر لأنه راجع إلى
أمر غير محصور بدليل أن الزيف راجع إلى الجهالات ووجوه الجهل
لا تنحصر فصار طلب حصرها عناء من غير فائدة . وأما الاستقراء فغير
نافع أيضاً لأن البدع تزداد على الأيام . قد تقول إن الصوفية هم الفرقة
الناجية لأنهم في الحقيقة لا يخرجون عما عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه لكن الامام الغزالي يقصد من الصوفية معنى خاصاً يعنى بها الطائفة
التي انكشفت لها بعض حقائق الوجود أما غيرهم ممن سار على نهج السلف
ولم تنكشف له الأمور إلى درجة عين اليقين فليس لهم في تقسيم الغزالي
ذكر وقد كان للغزالي مجال واسع في البحث عن الحقيقة عن طريق الكتاب
والسنة فالآية الثانية من السورة الثانية تقرر أن الكتاب لا شك فيه وهنا
يبحث عن الحقيقة في ضوء عدم الشك في الكتاب ويستتبع هذا البحث في
الوحي والنبوة والمعجزة فالنبوات والتصديق بها هي طريق اليقين وقد
صرح الغزالي في الفصل الأخير بأن اليقين إنما يصل من هذا الطريق
بكيفيات أباها رضى الله عنه ويظهر أنه لم يصل إلى هذا إلا بعد كفاح
عنيف في مسالك لوصول وهذا ليجعل الله منه مثلاً للتأهلين لهذه المقامات
حتى لا يصلوا من بعده في مفاوز الطرقات والمعتقدات وليبحثوا عن الحقيقة
في دائرة الوحي أولاً .

المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده ، وهو
شعب لا يرأب ، وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف ، إلا أن يذاب بالنار ،
ويستأنف له صنعة أخرى مستجدة .

فابتدرت لسلوك هذه الطرق ، باستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئاً
بعلم الكلام ومثلياً بطريق الفلسفة ، ومثلياً بتعليم الباطنية ، ومربعاً
بطريق الصوفية .

١ - علم الكلام

مقصوده وحاصله

ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فخصته وعقلته ، وطالعت كتب المحققين
منهم ، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف . فصادفته علماً وافياً بمقصوده ،
غير واف بمقصودي ، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة على أهل
السنة ، وحرصاتها عن تشويش أهل البدعة . فقد ألقى الله تعالى إلى عباده
على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما
نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة
أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها
فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام
مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثه ، على خلاف السنة
المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله ، فلقد قام طائفة منهم بما نديهم
الله تعالى إليه فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة

بالقبول من النبوة والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة . ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطروهم إلى تسليمها إما التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ، وهؤلاء أخذتهم بلوازم مسلماتهم . وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً . فلم يكن الكلام في حق كافياً ، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً . نعم ، لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود عليهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة ، في اختلافات الخلق . ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك الغيري (١) بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة

(١) لا ريب أن الامام الغزالي قد حسن الظن بنتائج هذا العلم في عقول المسلمين فيما بعد ولكن الواقع أن اشتغال علماء المسلمين وعباقرتهم بمسائل هذا الفن التي اختلطت ببعض مسائل فلسفية مشوشة لا تمت إلى العقلية الاسلامية الاولى بصلة أضاع أوقات هذه العقول الكبيرة فيما لا يقدم الأمة إلى الامام خطوة إن عقيدة الاسلام بسيطة سهلة لم يعقدها إلا علم الكلام الذي أصبح يستمد موضوعه من مباحث فلسفية لا علاقة لها بالاسلام من قريب أو بعيد ولذا لم يصل الغزالي به إلى الحق ولو أنك قدمت كتاب العقائد الفلسفية لعالم مستشرق مثلاً ليبنى على ما فيه عقائده للنفر من الاسلام ولا يقن أن عقيدة الاسلام غير قابلة للفهم .

ولكن حصولاً مشروباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات والغرض الآن حكاية حالي ، لا الإنكار على من استشفى به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكما من دواء ينفع به مريض ويستضر به آخر !

٢ - الفلسفة (١)

محصولها - المذموم منها ومالا يندم - ما يكفر به قائله ومالا يكفر به - وما يبتدع فيه ومالا يبتدع - بيان ما سرقة الفلاسفة من كلام أهل الحق - بيان ما مزجوه بكلام أهل الحق لترويج باطلهم - كيفية عدم قبول البشر ونفرة النفوس من ذلك الحق المزوج بالباطل - كيفية استخلاص الحق لخالص من المزيف والبهرج من جملة كلامهم .

ثم إنني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة . وعلت

(١) الفلسفة رمز لثورة الانسان على الانسان والفلاسفة حملة لواء هذه الثورة ضد المحتكرين توجيه الانسان لا باسم الانسانية وهي في الوقت نفسه عنوان في نظر الفلاسفة على المنهج المثالي لحياة إنسانية معتدلة لا إفراط ولا تفريط فيها وترمي الفلسفة إلى تحديد الوجود وشرح عوالمه وأنواعه ووضع الأسس التي يصل بها الانسان إلى غاية الوجود كله وليس الفلسفة بالدين إلا علاقة التوجيه لخير الانسان لا هدم الدين إن الاتجاه الفلسفي الذي يحاول أن يهدم الدين ليس هو الاتجاه المثالي من بين اتجاهاتها بل هو ذلك الاتجاه الذي يحارب المثالية في أي صورة لها فلسفية أو دينية وأجدد بالنزاع أن لا يكون بين الفلسفة والدين بل بين المادية والمثالية

يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم في أصل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة ، وإذا ذلك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا . ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمة إلى ذلك .

ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم ، حيث اشتغلوا بالرد عليهم ، إلا كلمات معقدة مبددة ، ظاهرة التناقض والفساد ، لا يظن الاغترار بها بعقل عامي ، فضلا عن يدعي دقائق العلوم . فعلت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رد في عمائة . فشمرت عن ساق الجد ، في تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وأنا منو بالتدريس والافادة لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد .

فأطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلصة ، على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره ، حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخييل ، اطلعا عالم أشك فيه

فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم ، فإني رأيتهم أصنافا ، ورأيت علومهم أقساما ، وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والالحاد ، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين ، وبين الأواخر منهم والأوائل ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه .

أصناف الفلاسفة

واتصاف كافتهم بالكفر

إعلم : أنهم ، على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : الدهريون ، والطبيعيون ، والآلهيون .

١ - الصف الأول : الدهريون - وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً (وهؤلاء هم الزنادقة) (١).

(١) حشر فرقة الزنادقة في مجموع الفلاسفة غير مسلم فالزنديق لا يمت إلى الفلسفة بشيء وجعل من يقول ما يهلكنا إلا الدهر من الفلاسفة غير مسلم بل هؤلاء كفار بنص القرآن مخلدون في النار إن لم يكونوا أهل فترة أو لم تبلغهم الدعوة واتصاف كافة الفلاسفة بالكفر دعوى غير مسلبة والبشرية في نمو معارفها كالجسم متدرجة تنمو تدريجاً وليس من سنة الله في الكون بلوغ الكمال طفرة على أن الهوة بين الفلسفة والأديان ليست كما أراد أن يقرره العزالي فالفلسفة الأفلاطونية مثلاً تدعو إلى إنسان فاضل ومجتمع بشري أفضل وارتضت فيما بعد الطبيعة أن تكون الموجودات فيما بعدها مثلاً ونماذج لموجوداتها وبحكم أنها مثل ونماذج تكون في وضع الغايات والمقاصد تتجه موجودات الطبيعة نحوها وتحاكيها في سعيها وحركاتها والوجود الطبيعي لذلك ليس غاية في نفسه وما فيه لا يصح =

٢ - الصنف الثاني : الطبيعيون - وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشریح أعضاء الحيوانات ، فأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها . ولا يطالع التشریح وعجائب منافع الأعضاء مطالع ، إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان ، لا سيما بنية الانسان . إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم لا اعتدال المزاج ، تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا . فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار ، والحشر والنشر ، والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للعصية عقاب ،

= أن تقف حركات الانسان عنده ورأت الأفلاطونية في دائرة السلوك الأخلاقي أن الفضيلة العليا العدل أي التوازن بين قوى النفس ليسيطر العقل الانساني على قوى الغضب والشهوة وهكذا فلسفة أرسطو تقوم على المثالية وتقصده إلى غايات غير مادية في النهاية وإن بدا عليها طابع الطبيعة وعند أرسطو واجب الوجود غاية الوجود وهو مجرد عن المادة ومطلق من تحديدها وإليه يسعى الوجود كله في حركته والاسلام جعل غاية الوجود في الله والله في رأيه فوق الوجود المادي وسعى الانسان يجب أن يتجه إلى الله وحده وسلوك الانسان الفاضل ما نشأ إلا عن حب الله فليس إذا بين الاسلام والفلسفة في أصلها عداً .

فانحل عنهم اللجام ، وانهمكوا في الشهوات إنهماك الأنعام (١).

وهؤلاء أيضاً زنادقة : لأن أصل الإيمان : هو الإيمان بالله واليوم

الآخر . وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

٣ - الصف الثالث : الآلهيون - وهم المتأخرون منهم مثل سقراط

وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس ، وأرسطاطاليس

هو الذي رتب لهم المنطق ، وهذب لهم العلوم ، وحرر لهم ما لم يكن

محرراً من قبل ، وأنضج لهم ما كان فجاً من علومهم . وهم بجملتهم ردوا

على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية ، وأوردوا في الكشف عن

فضائحهم ما أغنوا به غيرهم . « وكفى الله المؤمنين القتال ، بتقاتلهم . ثم .

رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط . ومن كان قبله من الآلهيين ،

رداً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم . إلا أنه استبقى أيضاً من رذائل

كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها ، فوجب تكفيرهم (٢) وتكفير

(١) إن منكرى البعث و فرق الكفر بعيدون عن الفلسفة فلا معنى لخلط

الفرق بعضها ببعض فالفلسفة هي المعارف الانسانية المتعلقة بالأفكار الكلية

والوجود المطلق فلو أن الغزالي قرر أن معارف الفلاسفة لم ترو ظمأه وترك

مسألة التفكير وعدمه جانبا لكان ذلك أنسب بشرح حاله الذي يريد أن

يجعله مثلاً يحتذى في البحث عن الحقيقة في الكون .

(٢) أن رمى عباقرة الانسانية بالكفر أمر غير مسلم بعمومه وكثير على

المسلمين . أن يكفروا العقليات التي لم تلد الانسانية ولن تجود بمثلها فابن

سينا ألم بكل معارف عصره إماماً عجيباً حتى فتن الأجيال اللاحقة التي خلقت

شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين ، كابن سينا والفارابي وغيرهما . على أنه

== منه شخصاً أسطورياً هائلاً ولقد حلت كتبه الفلسفية على كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال اللاحقة قال ابن خلدون ، وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة ، أما آراؤه فهو يرتب النفس ترتيباً تصاعدياً فيحدث أولاً عن النفس النباتية ثم الحيوانية ثم الناطقة أما آراؤه في العقل فهي تخالف آراء سلفية الكندي والفارابي بعض المخالفة نظر إلى العقل على أنه قوة تستكمل بالمعقولات شيئاً فشيئاً والعقل يكتب العلم بالفكر والحدس والفكر حركة للنفس الناطقة تبحث بها عن الحدود المطلوب ما حتى إذا ظفرت بها رتبته في مقدمات قياسية أما الحدس فهو ظفر بالمطالب وحدودها الوسطى دفعة واحدة وعلم الأنبياء حدس وعقلهم قدسي وهيكذا يجعل ابن سينا علم الأنبياء أرفع علم علي خلاف الفارابي الذي يرى علم الفلاسفة أوثق وأبعد عن الخيال والرمز والمعقولات عنده تفيض عن عقل خارج عنا أزلى أيدي أما الهياته فموضوعها البحث في الوجود المطلق ، ويبدأ ابن سينا الهياته بتحديد صلة الوجود بماهيات الأشياء فيرى أن هناك من الأشياء ما لا يؤخذ في حده معنى الوجود كالمثلث مثلاً فأنا نتمثله خطأ وسطحاً ولا نتمثله موجوداً مثل هذا الشيء وجوده زائد على ماهيته عارض عليها وهو يحتاج في وجوده إلى علة ولما كانت العلة لا بد أن تنهاى لامتناع الدور والتسلسل فلا بد من الانتهاء إلى علة أولى بالاطلاق ماهيتها عين وجودها وهذه العلة لا نستطيع أن نتمثلها معدومة لأن ماهيتها الوجود نفسه ولأنها مبدأ كل موجود هكذا يؤدي التمييز بين ماهية الشيء ووجوده إلى التمييز بين الممكن والواجب إذ الممكن ما يستوى وجوده وعدمه والواجب هو الضروري الوجود الذي يترتب على عدمه

لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخطيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ، وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل ؟ ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس ، بحسب نقل هذين الرجلين ، ينحصر في ثلاثة أقسام :

(١) قسم يجب التفكير به (٢) وقسم يجب التبديع به ، (٣) وقسم لا يجب إنكاره أصلا ، فلنفصله .

عدم كل موجود ويقابلها العالم والله على الترتيب ولقد كان العالم عند أرسطو قديمه قدم الله ومثل هذه الاثنية لا تتفق مع نزعة المسلم إلى التوحيد لذلك لما اضطر ابن سينا إلى القول بقدم العالم حتى يجعل أفعال الله قديمه مثله رأى أن يجعل الله متقدما على أفعاله القديمة بالذات لا بالزمان والزمان نفسه — مع أنه قديم مخلوق أيضا تقدمه الواجب بالذات لا بزمان آخر وقد فاض العالم عن الله بمحض إرادته لا عن حاجة إلى ذلك فكان عنه أولا العقل الأول الذي هو ممكن في ذاته واجب يعلنه وهذان الاعتباران في العقل الأول عما بدء حدوث الكثرة في الوجود وفاض عن العقل الأول . عقل ثان وهكذا تستمر الموجودات في التكثر فيصدر عن كل عقل عقل آخر ونفس فلكية وجرم سماوي حتى ينتهي الصدور إلى العقل العاشر وهو الفعال في عالمنا هذا وهو على عكس أرسطو يرى أن العقل الأول هو المحرك الأول لا الله وإله أرسطو لا يعقل إلا ذاته وهو مشغول بها عما عداها أما إله ابن سينا فليس يعقل ذاته فقط بل يعقل الماهيات الكلية كما يدرك الجزئيات فلا يعزب عنه مثقال ذرة وتحيط بعناية الله بكل شيء .

59564

أقسام علومهم

إعلم : أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي تطلبه ستة أقسام :
رياضية ومنطقية ، وطبيعية وإلهية ، وسياسية وخلقية .

١ - أما الرياضية : فتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم حياة العالم
وليس بتعلق شيء منها بالأمر الدينية نفيًا وإثباتًا بل هي أمور برهانية
لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها . وقد تولدت منها آفتان .

الأول : من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن
بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ، فيحسب أن جميع علومهم في
الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم
وتعطيهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة ، فينكر بالتقليد المحض
ويقول : لو كان الدين حقًا لما اختلف على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم

= أما أبو نصر الفارابي فذهبه مذهب المدرسة الأفلاطونية الجديدة
في صورتها الإسلامية وهذا المذهب كان الكندي بدأ يعبده من قبل
ووصل به ابن سينا في مصنفاته إلى أكمل صورة من بعد ومن المرجح أن
الفارابي قد خالف الكندي وابن سينا في بعض المسائل ويقول أصحاب
دائرة المعارف الإسلامية : يجب أن نقف موقف التحفظ إن لم يكن موقف
الشك عند بسط تفاصيل مذهب الفارابي فؤلفاته لم تصل إلينا جميعها وأساوبه
غامض وكثير من رسائله عبارة عن نبد مقتضبة غاية الاقتضاب وغير
مرتبة وفكرته الأساسية التي تنحو إلى التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من جهة
وبين هذه الفلسفة والعقيدة الإسلامية لا تخلو من التناقض .

فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم ، فيستدل على أن الحق هو الجحد والانكار للدين . وكم رأيت من يضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه او إذا قيل له : الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا في كل صناعة ، فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ، ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو ، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق ، وإن كان الحق والجهل قد يلزمهم في غيرها . فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني ، وفي الآلهيات تخميني ، لا يعرف ذلك إلا من جربه وخاض فيه ، فهذا إذا قرر على هذا الوجه فالذي أُلحِد بالتقليد . لم يقع منه موقع القبول ، بل تحمله غلبة الهوى ، وشهوة البطالة ، وحب التكايس على أن يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم (١)

(١) وهذا كلام غريب أيضا من فيلسوف كثر فهمه العلي فلم يقنع بعلوم الشريعة واتجه إلى علوم الأذواق ومع ذلك يحجر على غيره أن يشبع نهمه العلي من علوم عالم الشهادة ليتجه إلى علوم الغيب ولم يدر ذلك الحجة الاسلامي أنه لم يصل إلى درجة الإمامة حتى خاض هذه البحار جميعها وفي ظني أن لن يصل أحد إلى مثل ما وصل إليه الامام إلا بانضاج العقلية بالعلوم الكونية أولا ليهيئه ذلك لتلقي علوم الفيض والالهام لقد لقيت في بلادنا المصرية أكابر العارفين من أهل عصرى ولقيت منهم الاميين الذين لو أنهم كانوا تمرسوا بالعلوم لكانت إمامتهم أنضج وأبلغ ورأيت منهم من أعطى الولاية الكبرى ولكن هذا العطاء الضخم لم تنتفع منه =

فإنها وإن لم تتعلق بأمر الدين ، ولكن لما كانت من مبادئ علومهم ، يسرى إليه شرهم وشؤمهم ، فقل من يخوض فيه إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى .

الآفة الثانية . نشأت من صديق للاسلام جاهل ، ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم : فأنكر جميع علومهم وأدعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع ، لم يشك في برهانه ، لكن اعتقد أن الاسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللإسلام بغضا ، وقد عظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وايس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية . وقوله عليه السلام : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيت ذلك فأفزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة » ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتها على وجه مخصوص أما قوله عليه السلام : « لكن الله اذا تجلى لشيء خضع له ، فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلا .

= الأمة كانتفاعها لو كانت هذه الشخصيات درست شيئا من علوم الحكمة وفلسفة الأقدمين .

فهذا حكم الرياضيات وآفتها .

٢ - وأما المنطقيات : فلا يتعلق شيء منها بالدين نقياً وإثباتاً ، بل هو النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه . وأن العلم إما تصور ، وسبيل معرفته الحد ، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر ، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة ، وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات ، وبزيادة الاستقضاء في التعريفات والتشعيبات ، ومثال كلامهم فيها قولهم إذا ثبت أن كل « ا - ب » لزم أن بعض « ب - ا » أي إذا ثبت أن كل إنسان حيوان لزم أن بعض الحيوان إنسان ، ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية . وأي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر؟ فإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار

نعم . لهم نوع من الظلم في هذا العلم . وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط ، بل تساهلوا غاية التساهل ، وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراه واضحاً ، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفریات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الآلهية .

فهذه الآفة أيضا متطرفة إليه (١)

٣ - وأما علم الطبيعيات فهو بحث عن عالم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة : كالماء والهواء والتراب والنار ، ومن الأجسام المركبة : كالحيوان والنبات والمعادن ، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها . وذلك يضاهي بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسية والخادمة . وأسباب استحالة مزاجها . وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب فليس من شرطه أيضا إنكار ذلك العلم ، إلا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب « تهافت الفلاسفة » ، وما عداها ما يجب المخالفة فيها ، فعند التأمل يتبين أنها مندرجة تحتها وأصل جملتها أن تعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فاعل لشيء منها بذاته عن ذاته .

٤ - وأما الآلهيات ففيها أكثر أغاليطهم ، فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين ، على ما نقله الفارابي وابن سينا . ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلا ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديعهم في سبعة عشر . ولا بطلان

(١) ليس في تعلم المنطق أي آفة تنطرق إلى من يدرسه وهو يدرس في الأزهر نحو عشرة قرون فلم يكفر أهله .

مذهبهم في هذه المسائل العشرين ، صنفنا كتاب « التهافت » أما المسائل
الثلاث ، فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم :

(١) إن الأجساد لا تحشر ، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح

المجردة ، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية (١)

ولقد صدقوا في إثبات الروحانية ، فإنها كائنة أيضا ، ولكن كذبوا

في إنكار الجسمانية ، وكفروا بالشرعية فيما نطقوا به .

(٢) ومن ذلك قولهم : « إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات »

وهذا أيضا كفر صريح ، بل الحق أنه : « لا يعزب عن علمه مثقال ذرة

في السموات ولا في الأرض » .

(٣) ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من

المسلمين إلى شيء من هذه المسائل .

وأما ما وراء ذلك من نفهم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا يعلم

زائد على الذات وما يجري مجراها ، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة

ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب « فيصل

التفرقة بين الإسلام والزندقة » ما يتبين فيه فساد رأى من يتسارع إلى

التفكير في كل ما يخالف مذهبه .

٥ — وأما السياسيات فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية

(١) ليست هذه عقيدة الفلاسفة فقط بل هذه عقيدة كثير من المسيحيين .

المتعلقة بالأمور الدنيوية والإيالة السلطانية ، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء ، ومن الحكم الماثورة عن سلف الأنبياء .

٦ - وأما الخلقية : فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها ، وكيفية معالجتها ومجاهدتها ، وإنما أخذوها من كلام الصوفية (١) وهم المتأهلون المشارون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالإعراض عن ملاذ الدنيا . وقد انكشف لهم في مجاهدتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها ، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم ، توسلاً بالتجمل بها إلى ترويح باطلهم (٢) ولقد كان في عصرهم ، بل في كل عصر جماعة من المتأهلين ، لا يخلى الله سبحانه العالم عنهم ، فإنهم أوتاد الأرض ببركاتهم تنزل الرحمة إلى أهل الأرض كما ورد في الخبر حيث قال عليه السلام : بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان أصحاب الكهف ، وكانوا في سالف الأزمنة ، على ما نطق به القرآن ، فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان - آفة في حق القابل ، وآفة في حق الراد .

- (١) ولم لا يكون التصوف والمتصوفة قد قلدوا الفلاسفة الأقدمين .
 (٢) كلام كله دعاوى لا يقوم عليهما دليل فإن المذاهب والثقافات لا تزال من بدء الخليقة يأخذ بعضها من بعض فالتصوف من نوع الفلسفة والفلسفة نوع منه .

١ - أما الآفة التي هي في حق الراد فعظيمة : إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مدونا في كتبهم ، وممزوجا بباطلهم ، ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره ، إذ لم يسمعوه أولا إلا منهم ، فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل ، لأنه قائله مبطل ، كالذي يسمع من النصراني قول : لا إله إلا الله عيسى رسول الله ، فينكره ويقول ، وهذا كلام النصراني ، ولا يتوقف ريثما يتأمل أن النصراني كافر باعتبار هذا القول ، أو باعتبار إنكاره نبوة محمد عليه السلام ؛ فإن لم يكن كافرا إلا باعتبار إنكاره ، فلا ينبغي أن يخالف في غير ما هو به كافر بما هو حق في نفسه ، وإن كان أيضا حقا عنده . وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال ، لا الرجال بالحق . والعاقل يقتدى بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال ، لا تعرف الحق بالرجال بل أعرف الحق تعرف أهله ، والعارف العاقل يعرف الحق ، ثم ينظر في نفس القول ، فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب الرغام . ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب ، وانتزع الأبريز الخالص من الزيف والبهرج ، مهما كان واثقا ببصيرته ، وإنما يزجر عن معاملة القلاب القروي ، دون الصيرفي البصير ، ويمنع من ساحل البحر الآخرق ، دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع .

ولعمري : لما غلب على أكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة

وكمال العقل وتتمام الآلة في تمييز الحق عن الباطل ، والهدى عن الضلالة ،
 وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلالة
 ما أمكن ، إذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي سنذكرها أصلاً ، وإن سلخوا
 عن هذه الآفة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المشوثة في
 تصانيفنا في أسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرأثرهم
 ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم ، وزعمت أن تلك الكلمات
 من كلام الأوائل ، مع أن بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد أن يقع
 الحافر على الحافر ، وبعضها يوجد في الكتب الشرعية ، وأكثرها موجود
 معناه في كتب الصوفية . وهب أنها لم توجد إلا في كتبهم فإذا كان ذلك
 الكلام معقولا في نفسه ، مؤيداً بالبرهان ، ولم يكن على مخالفة الكتاب
 والسنة ، فلم ينبغي أن يهجر ويترك ؟ فلو فتحنا هذا الباب ، وتطرقنا
 إلى أن نهجر كل حق سبق إليه خاطر لزمنا أن نهجر كثيراً من الحق ،
 ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن ، وأخبار الرسول وحكايات
 السلف ، وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب كتاب ، إخوان الصفا ،
 أوردها في كتابه مستشهداً بها ، ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله
 ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بإيداعهم إياه
 في كتبهم ، وأقل درجات العالم . أن يتميز عن العامى الغمر ، فلا يعاف
 العسل ، وإن وجدته في محجمة الحجام .

ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل ، فإن نفرة الطبع منه مبنية
 على جهل عامى منشؤه أن المحجمة ، إنما صنعت للدم المستقدر ، فيظن أن

الدم مستقدر لكونه في المحجمة ، ولا يدري أنه مستقدر لصفة في ذاته ،
 فإذا عدت هذه الصفة في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة ،
 فلا ينبغي أن يوجب له الاستقدار . وهذا وهم باطل ، وهو غالب على
 أكثر الخلق ، فهما نسبت الكلام وأسندته إلى قاتل حسن فيه اعتقادهم ،
 قبلوه وإن كان باطلا ، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن
 كان حقا ، فابدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق ،
 وهو غاية الضلال هذه آفة الراد .

٢ - آفة القبول : فإن من نظر في كتبهم « كإخوان الصفاء وغيره ،
 فرأى ، ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية ، والكلمات الصوفية ، ربما
 استحسناها وقبلها ، وحسن اعتقاده فيها ، فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج
 به لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج إلى الباطل .
 ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم (١) لما فيها من

(١) مقتضى هذا أن تأمر وزارة المعارف المصرية وإدارة البحوث في
 الأزهر أن لا ترسل أبناءها لتعميم الدراسات في جامعات الغرب حتى
 لا يطالع المبعوثون علوم الفرنجة وفلسفاتهم فيضلوا السبيل قل لي بربك ما هو
 هذا الإيمان الذي يضيع من مطالعة علم أو نقل ثقافة من ميدان إلى ميدان
 في غالب ظني أن هذا انكماش علمي لو سارت عليه أمة لفقدت وجودها
 كأمة متحضرة والبعد عن بحث نتاج مثل هذه العقول الجبارة إنكار لمفاخر
 الشرق فلم تنجب التربة الشرقية فخلا كآبي بكر الرازي أو الفارابي وابن
 سينا أو البيروني أو أبي حيان وابن الهيثم وابن رشد والألوف المؤلفات =

الغدر والخطر ، وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزلق الشطوط
يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب ، وكما يجب صون الضبيان
عن مس الحيات يجب صون الأسماع عن مختلط تلك الكلمات ، وكما يجب
على المعزم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل ، إذا علم أنه سيقتردي به
ويظن أنه مثله ، بل يجب عليه أن يحذره منه ، بأن يحذر هو في نفسه
ولا يمسها بين يديه ، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله ، وكما أن المعزم
الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم ، فاستخرج منه الترياق
وأبطل السم ، فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج إليه . وكذلك
الصراف الناقد البصير ، إذا أدخل يده في كيس القلاب ، وأخرج منه
الإبريز الخالص ، وأطرح الزيف والبهرج فليس له أن يشح بالجيد المرضى
على من يحتاج إليه ، كذلك العالم ، وكما أن المحتاج إلى الترياق ، إذا اشمازت
نفسه منه ، حيث علم أنه مستخرج من الحية التي هي مركز السم . وجب
تعريفه . والفقير المضطر إلى المال ، إذا نفر عن قبول الذهب المستخرج
من كيس القلاب ، وجب تنبيهه على أن نفرته جهل محض ، هو سبب
حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه . وتحتّم تعريفه أن قرب الجوار بين
الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفا ، كما لا يجعل الزيف جيدا . فكذلك

== من أمثالهم وأقرانهم ممن ورثوا الأقدمين وصاروا حلقة وصل
للتأخرين لضاعت المعارف الانسانية في الشرق . ولما أينعت ثمارها بعد ذلك
في الغرب .

قرب الجوار بين الحق والباطل لا يجعل الحق باطلا ، كما لا يجعل الباطل حقا
فهذا مقدار ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها .

٣ - مذهب التعليم وغائلته

ثم إنى لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمة وتزييف ما يزيغ
منه ، علمت أن ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض ، وأن العقل ليس
مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات
وكان قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحديدهم بمعرفة معنى الأمور
من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، عن لى أن أبحث عن مقالاتهم
لأطلع على ما فى كتبهم ثم اتفق أن ورد على أمر جازم من حضرة
الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعنى مدافعته
وصار ذلك مستحشا من خارج ، ضميمة للباعث الأصيل من الباطن ،
فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم . وكان قد بلغت بعض كلماتهم
المستحدثة التى ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم
فجمعت تلك الكلمات ، ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا التحقيق ، واستوفيت
الجواب عنها ، حتى أنكر على بعض أهل الحق منى مبالغتى فى تقرير حججهم
وقال : « هذا سعى لهم فإنهم كانوا يعجزون عن نصره مذهبهم بمثل هذه
الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها . »
وهذا الإنكار من وجه حق ، فلا قد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث

المجاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث ، الرد على البدعة فرض ، فقال أحمد ، نعم ، ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها . فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر إلى الجواب ، ولا يفهم كنهه ، ؟

وما ذكره أحمد حق ، ولكن في شبهة لم تنشر ولم تشتهر فأما إذا انتشرت ، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية (١) نعم ينبغي أن لا يتكلف إيرادها ، ولم أتكلف أنا ذلك ، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين إلى بعد أن كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم . وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم . فإنهم لم يفهموا بعد حججهم . وذكر تلك الحجة وحكاها عنهم ، فلم أرض لنفسي أن يظن في الغفلة عن أصل حججهم ، فلذلك أوردتها ، ولا أن يظن بي أني وإن سمعتها لم أفهمها ، فلذلك قررتها . والمقصود أني قررت شبهتهم إلى أقصى الإمكان ، ثم أظهرت فسادها بغاية البرهان .

(١) الواقع أن نظر الامام أحمد أبعد من نظر الغزالي فاشتغال علماء الأمة بتدوين كتب في الرد على المخالفين عمل سلبى ضائع ولو وجه العلماء جهودهم لتدعيم العقائد بنشر العلم النافع وتقويم الأمة على طريقة السلف بأحياء السنة لكان أجدى على الأمة من عدة مجلدات تكتب في الرد على ملحد أو زائغ أن أكبر وقاية للعقائد الإسلامية بعث علومها وثقافتها ودراسة الكتاب والسنة على طريقة السلف من غير تعمق في العقائد .

والحاصل : أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا
 نصره الصديق الجاهل ، لما انتهت تلك البدعة — مع ضعفها — إلى هذه
 الدرجة ، ولكن شدة التعصب ، دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع
 معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به فجادلوهم في
 دعواهم ، الحاجة إلى التعليم والمعلم ، ودعواهم ، لا يصلح كل معلم ، بل لا بد
 من معلم معصوم (١) ، وظهرت حججهم في إظهار الحاجة إلى التعليم وإلى
 المعلم ، وضعف قول المنكرين في مقابلتهم فاغتر بذلك جماعة وظنوا أن ذلك
 من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ولم يفهموا أن ذلك لضعف
 ناصر الحق وجهله بطريقه ، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى معلم ،
 وأنه لا بد وأن يكون المعلم معصوما ، ولكن معلنا المعصوم هو محمد عليه
 السلام . فإذا قالوا : « هو ميت » فنقول « ومعلمكم غائب » فإذا قالوا :
 « معلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد » وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا
 أو أشكل عليهم مشكل « فنقول : « ومعلنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد
 وأكمل التعليم إذ قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتي » وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته
 فبقي قولهم : « كيف تحكمون في ما لم تسمعوه ؟ أبالنص ولم تسمعوه
 أم بالاجتهاد والرأى وهو مظنة الخلاف ؟ » فنقول : « نفعنا ما فعله معا

(١) القول بالامام المعصوم كقول متأخري الصوفية بلزوم الشيء
 للبريد وقد ردها الغزالي وأثبت أنه لا حاجة لنا إلى أحد بعد النبي المعصوم
 وهو موجود فينا معنى .

إذ بعثه رسول الله عليه السلام إلى اليمن . إذ كان يحكم بالنص عند وجود النص وبالاجتهاد عند عدمه ، بل كما يفعله دعواتهم إذا بعدوا عن الإمام إلى أقاصى البلاد . إذ لا يمكنهم أن يحكموا بالنص ، فان النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع الغير متناهية ، ولا يمكنهم الرجوع في كل واقعة إلى بلدة الإمام ، وإلى أن يقطع المسافة ويرجع فيكون المستفتى قد مات ، وفات الانتفاع بالرجوع . فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق إلا أن يصلى بالاجتهاد ، إذ لو سافر إلى بلدة الإمام لمعرفة القبلة ، لفات وقت الصلاة ، فإذا جازت الصلاة إلى غير القبلة بناء على الظن ، ويقال « إن المخطيء في الاجتهاد له أجر واحد وللصيب أجران ، فكذلك في جميع المجتهدين ، وكذلك أمر صرف الزكاة إلى الفقير ، وربما يظنه فقيراً باجتهاده وهو غنى باطنا بإخفائه ماله ، ولا يكون هو مؤاخذاً به وإن أخطأ ، لأنه لم يؤخذ إلا بموجب ظنه . فإن قال « ظن مخالفة كظنه ، فنقول « هو مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة يتبع ظن نفسه وإن خالفه غيره ، فإن قال « فالمقلد يتبع أبا حنيفة أو الشافعي رحمهما الله ، أم غيرهما فأقول ، فالمقلد في القبلة عند الاشتباه ، إذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع ؟ « فسيقول ، له مع نفسه اجتهاد في معرفته الأفضل الأعم بدلائل القبلة ، فيتبع ذلك الاجتهاد ، فكذلك في المذاهب (١) ،

فرد الخلق إلى الاجتهاد - ضرورة - الأنبياء والأئمة مع العلم بأنهم

(١) التحقيق أنه لا يتحتم على المقلد التزام مذهب إمام معين لا يخرج عنه

قد يخطئون ، بل قال رسول الله عليه السلام : « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر أى : أنا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما أخطىء فيه . ولا سبيل إلى الأمن من الخطأ للأنبياء فى مثل هذه المجتهدات فكيف نطمع فى ذلك (١) »

ولهم ههنا سؤالان : أحدهما قولهم هذا ، وإن صح فى المجتهدات فلا يصح فى قواعد العقائد . إذا المخطىء فيها غير معذور . فكيف السبيل إليه؟ فأقول : « قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك من التفصيل ، والمتنازع فيه » يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم (٢) »

(١) تسمية المجتهد فيه من النبى المعصوم خطأ غير مسلم ومسألة الحكم بالظاهر ليست محل شاهد .

(٢) ولم لا يكون مرد المتنازع فيه كله إلى الكتاب والسنة مباشرة بدون حاجة إلى ميزان الغزالي وقد قال الله سبحانه وتعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » إن الدين قد جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفرغ منه ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات إلا اتباعه على هذا درج السلف ولذلك قال مالك لمن جادله : « أو كلها جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجدله ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وروى مالك فى الموطأ عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على السنة الواضحة ليلها كنهانها وروى ابن ماجه نحو هذا مرفوعاً من حديث أبى الدرداء .

وهي الموازين التي ذكرها الله تعالى في كتابه: وهي خمسة ذكرتها في كتاب القسطاط المستقيم فان قال: خصومك يخالفونك في ذلك الميزان، فأقول: لا يتصور أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه، ان لا يخالف فيه أهل التعليم، لأنني استخرجته من القرآن وتعليته منه، ولا يخالف فيه أهل المنطق، لأنه موافق لما شرطوه في المنطق، غير مخالف له، ولا يخالف فيه المتكلم لأنه موافق لما يذكره في أدلة النظريات، وبه يعرف الحق في الكلاميات، فان قال: «فان كان في يدك مثل هذا الميزان، فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق؟»، فأقول: لو أصغوا إلى لرفعت الخلاف بينهم. وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب «القسطاط المستقيم»، فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعاً لو أصغوا ولا يصغون إليه بأجمعهم! بل قد أصغى إلى طائفة، فرفعت الخلاف بينهم وامامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم يرفع إلى الآن؟ ولم لم يرفع على رضى الله عنه وهو رأس الأئمة؟ أو يدع أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء قهراً، فلم لم يحملهم إلى الآن؟ ولأى يوم أجله؟ وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا زيادة خلاف وزيادة مخالفة؟ نعم! كان يخشى من الخلاف نوع من الضرر لا ينتهي إلى سفك الدماء، وتخریب البلاد وإيتام الأولاد وقطع الطرق، والاغارة على الأموال. وقد حدث في العالم من بركات رفعكم الخلاف من الخلاف ما لم يكن بمثله عهد (١) فان قال (ادعيت أنك

(١) الواقع أن البحث عن الحق مع مثل هذه الفرق عبث لا طائل تحته فمذه المذاهب دخلت إلى الاسلام عند كثرة الفتوح من بعض فرق =

ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين أهل المذاهب المتعارضة
والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء اليك دون خصمك وأكثر
الخصوم يخالفونك ولا فرق بينك وبينهم .

وهذا هو سؤالهم الثاني فأقول : هذا أولا ينقلب عليك اذا دعوت
هذا المتحير إلى نفسك فيقول المتحير بم صرت أولى من مخالفيك وأكثر
أهل العلم يخالفونك فليت شعري ؟ أنجيب بأن تقول إمامي منصوص
عليه فمن يصدقك في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول وإنما
يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه
يسلم لك النص فان كان متحيرا في أصل النبوة : فقال هب ان أمامك يدلي
بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدقي أني أحيى أباك فأحياه فناطقني بأنه
محق فيماذا أعلم صدقه ولم يعرف كافة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة .
بل عليه من الأسئلة المشككة مالا يدفع الا بدقيق النظر العقلي والنظر العقلي
لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق مالم يعرف السحر
والتمييز بينه وبين المعجزة ومالم يعرف أن الله لا يضل عباده وسؤال
الإضلال وعسر تحرير الجواب عنه مشهور فيماذا تدفع جميع ذلك ؟
ولم يكن أمامك أولى بالمتابعة من مخالفيه فيرجع الى الأدلة النظرية التي

= النصرانية التي تدعى أن روح الاله تحل في زعمائهم وارتجاع العالم إلى
صحراء هذه المذاهب المملوكة صرف المسلمين عما خلقوا له من الخلافة
الأرضية وعمارة السكون .

تنكرها وخصمه يدلى بمثل تلك الأدلة وأوضح منها وهذا السؤال قد انقلب عليه انقلاباً عظيماً لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جواباً لم يقدرُوا عليه . وإنما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعاً إلى الأفهام فلا يصلح للاقوام فان قال قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب .

فأقول نعم جوابه أن المتحير لو قال أنا متحير ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها يقال له أنت كمر يض يقول أنا مريض ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود علاج للرض المطلق بل لمرض معين من صداع أو إسهال أو غيرهما ، فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ما هو متحير فيه فإن عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازن الخمسة التي لا يفهمها أحد إلا ويعترف بأنه الميزان الحق الذي يوثق بكل ما يوزن به فيفهم الميزان ويفهم أيضاً من صحة الوزن كما يفهم متعلم الحساب نفس الحساب وكون المحاسب المعلم عالماً بالحساب وصادقاً فيه وقد أوضحت ذلك في كتاب القسطاس المستقيم في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن بيان فساد مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهرى أولاً وفي كتاب حجة الحق ثانياً وهو جواب كلام لهم عرض على بيغداد وفي كتاب مفصل الخلاف الذي هو إثنا عشر فصلاً ثالثاً وهو جواب كلام عرض على بهمدان وفي كتاب الدرج المرقوم بالجداول رابعاً وهو من ركيك كلامهم الذي عرض على بطوس وفي

كتاب القسطاس المستقيم خامساً وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم (١) لمن أحاط به ، بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجى من ظلمات الآراء بل هم من عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام طال ما جاريناهم فصدقناهم في الحاجة إلى التعليم وإلى المعلم المعصوم وأنه الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم إشكالات فلم يفهموها فضلاً عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا على الإمام الغائب وقالوا أنه لا بد من السفر إليه والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً كالتضمنخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء حتى إذا وجده لم يستعمله وبقى متضمنخاً بالخبائث ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم فكان حاصل ما ذكره شيئاً من ركيك فلسفة فيثاغورس (٢) وهو رجل من قدماء الأوائل ومذهبه أرك مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه إرسطاطاليس بل اشترك كلامهم واسترذله وهو المحكى في كتاب إخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلاسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغيث ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم فهو لاء أيضاً

-
- (١) الإمام المعصوم فكرة نصرانية دخلت الاسلام مع من أسلم من النصارى وهي كفكرة لزوم الشيخ للريد عند صوفية القرون الأخيرة .
- (٢) أن هذه الفلسفات الركيكة في نظر الغزالي كانت مادة الفلسفة الحديثة التي أنارت طريق المعرفة أمام الانسان .

جر بناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام
 وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ومجادلتهم في إنكارهم الحاجة إلى
 التعليم بكلام قوى مفهم حتى إذا ساعدتهم على الحاجة إلى المعلم مساعد
 وقال هات عليه وأفدنا من تعليمه وقف وقال الآن إذا سلبت له هذا
 فاطلبه فإنما عرض هذا القدر فقط إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا فتضح
 ولعجز عن حل أدنى الإشكالات . بل عجز عن فهمه فضلاً عن جوابه
 فهذه حقيقة حالهم فأخبرهم تقلبهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضاً .

٤ - طرق الصوفية

ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتى على طريق الصوفية
 وعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل عملهم قطع عقبات
 النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى
 تخلية القلب عن غير الله تعالى وتخليته بذكر الله . وكان العلم أيسر على من
 العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي
 طالب المكي رحمه الله وكتب الحارس المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن
 الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من
 كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن
 يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن
 الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق (١) والحال وتبدل الصفات وكم من الفرق

(١) هذا الفصل من كتاب المنقذ هو أجل فصل في الكتاب به =

بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبوع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون

= أبان حجة الاسلام حقيقة التصوف الذي انتهى به رضى الله عنه إلى أعلى درجة في هذا المضمار والغريب أن كثيراً من عوام الأمة يقرأ هذا الفصل ويجهد في محاكاة الغزالي في الخلوة والتقشف والزهد ليصل إلى ما وصل إليه أو إلى شيء منه ولكن التاريخ لم يحدثنا بغزالي آخر والواقع أن لكل مرید كما يقولون تصوف فالتصوف في الاسلام كان أ طوارا .

التصوف العيسوى . التصوف الفكرى . التصوف التقليدى . التصوف المحمدى . أما التصوف العيسوى فهو تصوف الرياضات والتقليل من الأكل تدريجاً حتى يصل الأمر إلى الفطر على تمر في اليوم والليلة أو الفطر كل أربعين يوماً على تمر كما وصل إليه سهل بن عبد الله وقد وصل هذا التصوف بالغزالي الذروة . أما التصوف الفكرى فيبتدىء من عصر الشاذلى الذى كان أمام التصوف القلبي بالذكر والاستغراق فيه مع عدم حرمان النفس من حلالها ونبغ في هذا الشأن أئمة كبار . وبعد ذلك ابتداء التصوف التقليدى وهو محاكاة إحدى الطريقتين الأوليين لكن من غير قدرة على استفراغ الجهد فى أحدهما . أما التصوف المحمدى فهو أسلم مناهج التصوف ولا يصلح لهذا العصر سواه بعد أن كثر الأدعياء والمتمشيخون الذين لم يظهر لمنهجهم إن كان لهم منهج أثر فى الأمة وخلاصة هذا تجديد التوبة والاتجاه بالكلية إلى السنة وتعشق صاحبها والتخلق بالاخلاق النبوية واستقصائها من كتب الشمائل والتعبد بالآذكار النبوية وملاحظة النبي صلى الله عليه وسلم فى جميع الأحوال ومشاهدة ذاته بالقلب فى جميع الأذكار وينبئ هذا التصوف الأخير على ركن واحد هو أن لا يشغل =

صحيحاً وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكر انا لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسمع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنف العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين محرر بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى وأن

= المرید قلبه بالشیوخ فانهم أكبر عائق عن السير في هذا النوع من التصوف وأعظم حجاب في التلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة أدركت ذلك بوجودان صحيح وتلقيته في عالم المثال من أكبر روح مريبه بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق
ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منغمس في العلائق وقد أهدقت بي من
الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فإذا أنا فيها مقبل
على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في
التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه
وانتشار الصيت فتيقنت أني على شفا جرف هار وأنى قد أشفيت على
النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على
مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك
الأحوال يوماً وأحل العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر عنه أخرى
لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة إلا ويحمل عليها جند الهوى حملة
فتفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام ومنادى
الإيمان ينادى الرحيل ! الرحيل ! فلم يبق من العمر إلا قليل وبين يديك
السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخيل فإن لم تستعد
الآن للآخرة فمتى تستعد ؟ وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع (١)
فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود
الشیطان ويقول هذه حال عارضة إياك أن تطاوعها فاتها سريعة الزوال
فان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن

(١) قطع الغزالي لعلائق الدنيا لم يكن فيه مختاراً ولذا فان من الحماسة أن
ترك ما أنت فيه من وظائف طلباً للتصوف فقد قال ابن عطاء الله إرادتك
التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية .

التكدير والتغيب والامن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما التفتت
اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات
الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين
وأربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار (١)
إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن
أدرس يوما واحدا تطيبها لقلوب المختلفين إلى فكان لا ينطق لساني بكلمة
واحدة ولا أستطيعها البتة حتى أورثت هذه العقلة في لساني حزنا في القلب
بطلت معه قوة الهضم ومرارة الطعام والشراب فكان لا ينسأغ لي ثريد
ولا تنهضم لي لقمة وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم

(١) ومن هذا يتبين أن الامام حجة الاسلام الغزالي كان مصطفى
مجتي اختارته العناية الالهية وأهله لأداء رسالة روحية عظيمة بلغ
صداها المشرق والمغرب فتصوف الغزالي في الأحياء نهل منه كل من صح
عزمه على سلوك طريق القوم نعم أن هذه الطريقة التي سلكها الغزالي
والمنهج الذي أبانه في هذا الفصل كان أمراً خاصاً أن وصل به إلى مقصوده
فلن يكون ذلك قاعدة مطردة لكل من أراد سلوك هذه الطريق ولذا فان
آمن طريق يسلكه مريدها أراد الغزالي أن يسلم نفسه للحضرة المحمدية
أولا وهنا إذا صدقت النية ستلاحق على المرید الاشارة ببعض الأذكار التي
تناسب روح السالك ومقامه وهذا لا ينافي أن يختلي المرید ببعض أذكار
الكتاب والسنة كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغفار ،
وقد لازم الغزالي الذكر باسمه تعالى ، الله ، حتى فتح عليه فيه .

من العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل
إليه بالعلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم ثم لما أحسست بعجزى
وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة
له فأجاني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الإعراض عن
الجاه والمال والأولاد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي سفر الشام حذرا أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على
عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على
عزم ألا أعاودها أبدا واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة إذ لم يكن فيهم
من يجوز أن يكون الإعراض عما كنت فيه سببا دينياً إذ ظنوا أن ذلك
هو المنصب الأعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من
جهة الولاية وأما من قرب من الولاية وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي
والانكباب على وإعراض عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر
سماوي وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة العلم فقارقت (١)
بغداد وقرقت ما كان معي من المال ولم أدخر إلا قدر الكفاف
وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصد للصالح لكونه وقفاً على
المسلمين فلم أر في العالم مالا يأخذه العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام

(١) وكان هذا لا مفر منه لمن في مثل همة هذا الامام الفرد طالب منه
باطناً الانقطاع إلى الله فصدع قال ابن عطاء الله إرادتك الأسباب مع إقامة
الله لك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية .

وأقت به قريبا من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة
والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر
الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت اعتكف مدة في مسجد
دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ثم رحلت
منها إلى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأغلق بابها على نفسي ثم
تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة
وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات
الله عليه فسرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الأبطال إلى الوطن
فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه فأثرت العزلة به أيضا
حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر، وكانت حوادث الزمان
ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة
الخلوة وكان لا يصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة لكنني مع ذلك
لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها قدمت على ذلك
مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره اينتفع به أني علمت يقينا
أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير
وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء
وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئا
من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فان
جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة

وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله . وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهي على التحقيق أول الطريقة .

وما قبل ذلك كالدليل للسالك إليه ومن أول الطريقة تبدأ المشاهدات والمكاشفات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ وقد بينا وجه الخطأ في كتاب المقصد الأسنى بل الذى لا يسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول : وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر .

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم ، وكرامات الأولياء على التحقيق هي بدايات الأنبياء وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب « إن محمداً عشق ربه » وهذه

حالة يتحققها بالذوق من سلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينا ومن جالسهم استفاد منهم هذا الإيمان فهم القوم لا يشقى جلسهم ومن لم يرزق صحبتهم فلن يعلم إمكان ذلك يقينا بشواهد البرهان على ما ذكرناه في كتاب (عجائب القلب) من كتب إحياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملازمة تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إيمان فهذه ثلاث درجات « فيرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لأصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب إنهم كيف يهدون وفيهم قال الله تعالى « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا؟ ». « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وأتبعوا أهواءهم » فأصمهم وأعمى أبصارهم ، وبما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على أصلها لشدة مسيس الحاجة إليها .

حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها (١)

إعلم أن جوهر الإنسان في أصل الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر

(١) وهنا يشير الامام حجة الاسلام إلى النبوة واضطرار كافة الخلق إليها وهذه الإشارة هي ما صرحت لك به مما اضطرني الحق إلى سلوكه بعد ما طلبت الأمر عند الشيوخ فلم أجد عندهم مطلوبي نعم لرجال الطرق =

معه عن عوالم الله تعالى ، والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى كما قال
 (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وإنما خبره عن العوالم بواسطة الإدراك
 وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من
 الموجودات ونعني بالعوالم أجناس الموجودات فأول ما يخلق في الانسان
 حاسة اللمس فيدرك بها أجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة
 والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن الألوان
 والأصوات قطعاً بل هي كالمعدومة في حق اللمس - ثم تخلق له حاسة
 البصر فيدرك بها الألوان والأشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم
 ينفخ فيه السمع فيسمع الأصوات والنفخات ثم يخلق له الذوق كذلك
 إلى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين

= الصادقين رسالتهم في المحافظة على عقائد المسلمين في بعض بلاد الاسلام
 فلولا الطريقة التيجانية في شمال أفريقية لمزق الاستعمار الفرنسي عقائد
 المسلمين في هذه البلاد وهكذا الادريسية في طرابلس والحنفية في السودان
 ولذا فان المحافظة من الحكومات الاسلامية على هذه الطرق محافظة على عقائد
 العوام من سموم الاستعمار والتبشير المسيحي ولكن الأمر الذي يشير إليه
 الغزالي هو أن الاتصال بالله لا يكون إلا من طريق النبي صلى الله عليه
 وسلم وإنما يتيسر هذا للخواص والعلماء الذين يستطيعون دراسة السنة والتخلق
 بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وملاحظته في الأذكار واستحضار صورته
 الشريفة في جميع الأحوال والاقتناس من روحه والنهل من مدده الأصنى
 وسره الأسنى أما العوام فليس لهم إلا صحبة العارفين ليخلقوهم بالأوصاف
 المحمدية .

وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحس ثم يترقى إلى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأموراً لا توجد في الأطوار التي قبله، ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأموراً آخر العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأبأها واستبعدتها فكذلك بعض العقلاء أتى مدركات النبوة واستبعدتها وذلك عين الجهل إذ لا مستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فيظن أنه غير موجود في نفسه والأاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال وحكى له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقربها وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الإنسان من نفسه وقيل له : (إن من الناس من يسقط مغشياً عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب) لأنكره وأقام البرهان على استحاله وقال القوي الحساسة أسباب الإدراك فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها ، فبأن لا يدرك مع ركودها أولى وأحق وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة فكما أن العقل طور من أطوار الآدمي يحصل فيه عين يبصر بها أنواعاً من المعقولات والحواس معزولة عنها فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها

الغيب وأمور لا يدركها العقل والشك في النبوة إما أن يقع في أماكتها
أو في وجودها ووقوعها أو في حصولها لشخص معين ودليل إمكانها
وجودها ودليل وجودها ووجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل
كعلمي الطب والنجوم فإن من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك إلا
بالهام إلهي وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل إليها بالتجربة فمن الأحكام
النجومية ما لا يقع إلا في كل ألف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة
وكذلك خواص الأدوية فتبين بهذا البرهان أن في الامكان وجود طريق
لإدراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لا أن النبوة
عبارة عنها فقط بل إدراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل إحدى
خواص النبوة ولها خواص كثيرة سواها وما ذكرناه قطرة من بحرها
وإنما ذكرناها لأن معك أنموذجا منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم
من جنسها في الطب والنجوم وهي معجزات الأنبياء ولا سبيل إليها للعقل
ببضاعة العقل أصلا، وأما ما عدا هذا من خواص النبوة إنما يدرك
بالذوق من سلوك طريق التصوف لأن هذا إنما فهمته بأنموذج رزقته
وهو النوم (١) ولولاه لما صدقت به فإن كان للنبي خاصة ليس لك منها

(١) وهذه إشارة أخرى في أن الاتصال الروحي بالنبي صلى الله عليه
وسلم هو مبدأ فتوحات التصوف وأنه يكون أولا عن طريق النوم والرؤى
فيه وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله «أنها جزء من
ست وأربعين جزءاً من النبوة»، واعلم يا أخي أن روح النبي صلى الله عليه
وسلم أقرب إليك من أي روح أخرى وأن الاستعداد من حضرته =

أنموذج فلا تفهمها أصلاً فكيف تصدق بها وإنما التصديق بعد الفهم وذلك الأنموذج يحصل في أوائل طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس إليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للإيمان بأصل النبوة . فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله ، إما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامح فإنك إذا عرفت الطب والفقاه يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيهاً وكون جالينوس طبيباً معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن (١) والأخبار

= لا يتطلب إلا التوبة الصادقة والمراقبة المستمرة والاشتغال بسنته والتعبد بتلاوة القرآن وإذكار السنة أن سلوك طريق الصوفية على يد النبي صلى الله عليه وسلم أسهل بكثير من طريق الشيوخ وآمن عاقبة على أن السلوك على أيدي الشيوخ محدود الأبعاد والمسافات فان الشيخ إذا رأى أن المرید يكاد يتخطاه في السير وكثيراً ما يحصل هذا تضطرب العلائق بينهما وهنا يقف المرید في وسط الطريق أما السير على يد النبي صلى الله عليه وسلم فانه غير محدود بل هو ساحة الاطلاق .

(١) وهذا تصريح من هذا الامام الكبير في التصوف بما للقرآن والسنة من شأن في الوصول إلى الله ولقد كتب سيدي محي الدين =

يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة وعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في قوله « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكيف صدق في قوله « من أعان ظالما سلطه الله عليه » وكيف صدق في قوله « من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة » فإذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضروري لا تمارى فيه . فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة

= ابن العربي حضرة المهيمن من الفتوحات المكية عن القرآن وكيف أنه السبيل الوحيد إلى الاتصال بالحق سبحانه وتعالى ، قال رضي الله عنه ما خلاصته ومعناه أن الاتصال بالحق سبحانه وتعالى إنما يكون عن قرب الانسان من المثل العليا التي خصها الله بالاصطفاء وجعلها محل رسالته ومكالمته ومظهر حضرة وخلافة ولا ريب أن المثل الأعلى الذي يحتذى ويتأهل الانسان بمحاكاته لمحل القرب هو النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الصورة الكاملة من القرآن فإنه لما تخلق بأخلاق القرآن فقد تخلق بأخلاق الله وأصبح محل التجليات القرآنية فإن أردت الاتصال بالله فتخلق بأخلاق القرآن تكن صورة محمدية وعلى قدر عنايتك بالقرآن حفظا بجميع رواياته ودراسة لمعانيه ومعرفة لأحكامه حلالا وحرامه تنطبع فيك الصورة المحمدية وعلى قدر مظهرك من هذه الصور يكون قربك من الله ولقد كان اطلاعي على هذا الفصل من الفتوحات سدى في تعلبي علوم القراءات والعناية بها .

الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخييل ، وأنه من الله إضلال ، فإنه « بضل من يشاء ويهدى من يشاء » . وترد عليك أسئلة المعجزات فإن كان مستنداً إيمانك إلى كلام منظوم في وجه دلالة المعجزة فينبجزم إيمانك بكلام مرتب في وجه الإشكال والشبهة عليها فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الأحاد فهذا هو الإيمان القوى العلى ، وأما الذوق فهو كالمشاهدة والأخذ باليد ولا يوجد إلا في طريق الصوفية فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي أقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة إليه .

سبب نشر العلم بعد الأعراض عنه

ثم إنى لما واضبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين (١) وبأن

(١) قد تقول من يستطيع أن يختلي عشر سنين منقطعاً عن العالم فأقول لك أن الخلوة القلبية عن العالم ممكنة بفكرك والمداومة على الذكر في السر والجهر في القيام والعود في طريقك في أثناء عمك ميسرة أن العالم يستطيع أن يكون صوفياً والسياسى كذلك والصانع والتاجر أن التصوف على الحقيقة هو استغراق القلب في المحبوب وما خلوة الغزالي =

لى فى أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصياها مرة بالذوق ، ومرة
 بالعلم البرهانى ، ومرة بالقبول الإيمانى : أن الإنسان خلق من بدن
 وقلب ، وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله ، دون اللحم
 والدم الذى يشارك فيه الميت والبهيمة ، وأن البدن له صحة بها سعاداته
 ومرض فيه هلاكه ، وأن القلب كذلك له صحة وسلامة ، ولا ينجو « إلا
 من أتى الله بقلب سليم » وله مرض فيه هلاكه الأبدى الأخرى ، كما
 قال تعالى « فى قلوبهم مرض » وأن الجهل بالله سم مهلك ، وأن معصية
 الله بمتابعة الهوى ، داؤه الممرض ، وأن معرفة الله تعالى تزيقه المحيى ،
 وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافى ، وأنه لا سبيل إلى معالجته بإزالة
 مرضه وكسب صحته إلا بأدوية ، كما لا سبيل إلى معالجة البدن إلا بذلك .
 وكما أن أدوية البدن تؤثر فى كسب الصحة بخاصية فيها ، لا يدركها العقلاء
 ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء ،
 الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء ، فكذلك بأن لى ، على
 الضرورة . أن أدوية العبادات بحدودها ، ومقاديرها المحدودة المقدره من
 جهة الأنبياء ، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء ، بل يجب فيها
 تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة ، لا ببضاعة العقل
 وكما أن الأدوية تركبت من أخلاط مختلفة وبعضها ضعف البعض فى الوزن

= ورياضته إلا وسيلة إلى صفاء السر والفرار من الشواغل عن الحق
 فيكن صوفيا فى مكتبك وكن صوفيا فى درسك ومتجرك ومصنعك كن
 كالعاشق الوهان لا يمنع عن حبه مانع أن الحب من مكنونات الجوانح .

فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص ، فكذلك العبادات التي هي أدوية داء القلوب ، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار ، حتى أن السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار ، ولا يخلو عن سر من الأسرار ، هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها إلا بنور النبوة (١) ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط ، بطريق العقل ، لها حكمة ، أو ظن أنها ذكرت على سبيل الاتفاق لا عن سر آلهي فيها ، يقتضيها بطريق الخاصية . وكما أن في الأدوية أصولا هي أركانها ، وزوائدها هي متمماتها ، لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها ، كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات .

وعلى الجملة : فالأنبياء أطباء أمراض القلوب ، وإنما فائدة العقل وتصرفه ، أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العميان إلى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين . وإلى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك ، إلا عن تفهم ما يلقيه الطبيب إليه .

(١) وهنا يشير الصوفي الكبير إلى أن فهم سر العبارة إنما تأتي عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم وبعد تمام الوصلة به وطريقها أن تسترشد به وتصوره في خيالك كأنك جالس بين يديه تتلقى منه ما يأمرك به من الحكم والارشادات وهذا سهل مع الممارسة وحبيب إلى القلب بعد الأدمان قال قائلهم « لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عدت نفسى من الموحدين » .

فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة، في مدة الخلوة والعزلة. ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة، ثم في حقيقة النبوة، ثم في العمل بما شرحته النبوة، وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق، فنظرت إلى أسباب فتور الخلق، وضعف إيمانهم، فاذا هي أربعة:

- ١ - سبب من الخائضين في علم الفلسفة .
 - ٢ - وسبب من الخائضين في طرق التصوف .
 - ٣ - وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم .
 - ٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالعلم بين الناس .
- فإني تتبعت مدة آحاد الخلق، أسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع، وأسأله عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره، وقلت له مالك تقصر فيها؟ فان كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا، فهذه حماقة، فإنك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع مالا نهاية له بأيام معدودة؟ وإن كنت لا تؤمن، فأنت كافر، فدبر نفسك في طلب الايمان، وأنظر ما سبب ككفرك الخفي الذي هو مذهبك باطنا، وهو سبب جرأتك ظاهراً، وإن كنت لا تصرح به تجملاً بالايمان وتشرفاً بذكر الشرع ا فقائل يقول: « هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه، لكان العلب أجدر بذلك، وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي، وفلان يشرب الخمر، وفلان يأكل أموال اليتامى، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة ا وهلم جرا، إلى أمثاله...

وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويزعم أنه قد بلغ مبلغا ترقى عن الحاجة إلى العبادة ! .

وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقائل رابع لقي أهل التعليم فيقول : « الحق مشكل ، والطريق إليه منسدد ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟ » .

وقائل خامس يقول : « لست أفعل هذا تقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها : ضبط عوام الخلق وتقيدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف . وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد ! » .

هذا منتهى إيمان من قرأ مذهب فلسفة الآلهيين منهم ، وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي . وهؤلاء هم المتجملون بالاسلام وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر الجماعات والصلوات ، ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وأنواعا من الفسق والفجور ! وإذا قيل له « إذا كانت النبوة غير صحيحة فلم

تصلي؟ ، فر بما يقول : « لرياضة الجسد ، ولعادة أهل البلد ، وحفظ المال والولد ا » وربما قال : « الشريعة صحيحة ، والنبوة حق » فيقال : « فلم تشرب الخمر؟ ، فيقول : « إنما نهى عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء ، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك ، وإني أقصد به تشجيد خاطري ، حتى أن ابن سيدنا ذكر في وصية له كتب فيها : أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا ، وأن يعظم الأوضاع الشرعية ، ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تليها بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته في صفاء الإيمان ، والتزام العبادات ، أن استثنى شرب الخمر لغرض التشافي . »

فهذا إيمان من يدعى الإيمان منهم ، وقد انخدع بهم جماعة ، زادهم انخداعهم ضعف اعتراض المعترضين عليهم إذا اعترضوا بمجادة علم الهندسة والمنطق ، وغير ذلك مما هو ضروري لهم ، على ما بينا علته من قبل .

فلم أرأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب ، ورأيت نفسى لازمة مجتهدة ملبة كشف هذه الشبهة ، حتى كان إفصاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم أعني طرق الصوفية والفلاسفة والتعلية والمتوسمين من العلماء انقذح في نفسى أن ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فإذا تغنيك الخلوة والعزلة وقد عم الداء ومرض الأطباء وأشرف الخلق على الهلاك ثم قلت في نفسى متى تشتغل أنت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم

إلى الحق لعاداك أهل الزمان في جمعهم وأنى تقاومهم . فكيف تعايشهم ؟
ولا يتم ذلك إلا بزمان مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت بينى وبين
الله تعالى بالاستمرار على العزلة وتعللا بالعجز عن إظهار الحق بالحجة
فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من
خارج فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور لتدارك هذه الفتنة وبلغ
الإلزام حداً كان ينتهى لو أصرت على الخلاف إلى حد الوحشة فخطر
لى أن سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة
العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق،
ولم ترخص نفسك لعسر مقاساة الخلق والله تعالى يقول « بسم الله الرحمن
الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم » الآية .

ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه ، ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات
الله ولقد جاءك من نبي المرسلين ، ويقول عز وجل « بسم الله الرحمن
الرحيم يس . والقرآن الحكيم . إلى قوله إنما تنذر من اتبع الذكر ،
فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات فاتفقوا على
الإشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية وانصاف إلى ذلك منامات
من الصالحين كثيرة متواترة تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدر
الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على
رأس كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات

ويسر الله الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وبلغت مدة العزلة إحدى عشر سنة وهذه حركة قدرها الله تعالى وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقذاح في القلب في هذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الأحوال مما يخطر أمكانه أصلاً بالبال والله تعالى مقلب القلوب والأحوال و (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) وأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم فما رجعت فإن الرجوع عود إلى ما كان وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي يكسب الجاه وأدعوا إليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي وأما الآن فأدعوا إلى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه هذا الآن هو نيتي وقصدي وأمنيتي يعلم الله ذلك مني وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري ولست أدري أصل إلى مرادى؟ أم أخترم دون غرضي ولكني أو من إيماننا يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأنى لم أتحرك لكنه حركني وأنى لم أعمل لكنه استعملني فأسأله أن يصلحني أولاً ثم يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي وأن يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه، ونعود الآن إلى ما ذكرنا من أسباب ضعف الإيمان بذكر طريق إرشادهم وإنقاذهم من مهالكهم أما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوه من أهل التعليم فعلاجه ما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم ولا نطول بذكره في هذه الرسالة، وأماماتهم أهل الأباحة فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع وكشفناها

في كتاب كيمياء السعادة ، وأما من فسد إيمانه بطريق الفلاسفة حتى أنكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الأدوية والنجوم وغيرها وإنما قدمنا هذه المقدمة لأجل ذلك ، وإنما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لأنه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفضن من العلوم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة ، وأما من أثبت النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة مؤمن بحكمه له طابع مخصوص يقتضى طابعه أن يكون متبوعا وليس هذا من النبوة في شيء ، بل الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان والبصر عن إدراك الأصوات وجميع الحواس عن إدراك المعقولات فإن لم يجوز هذا فقد أقننا البرهان على إمكانه بل على وجوده ، وإن جوز هذا فقد أثبت أن ههنا أموراً تسمى خواص لا يدور تصرف العقل حوالها أصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضى باستحالتها ، فامن - سدس الدرهم - وزن دائق من الافيون سم قاتل لأنه يجمد الدم في العروق لفرط برودته والذي يدعى علم الطبيعة يزعم أن ما يبرد من المركبات إنما يبرد بعنصرى الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم أن أرطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريدهما في الباطن إلى هذا الحد فلو أخبر طبيعى بهذا ولم يجربه لقال هذا محال والدليل على استحاله أو فيه نارية وهوائية والهوائيه والناريه لا تزيد بها برودة ، فنقدر

الكل ماء وتراباً ، فلا يوجب هذا الإفراط بالتبريد ، فإني انضم إليه
 حاران فبان لا يوجب أولى ويقدر هذا برهاناً وأكثر براهين الفلاسفة
 في الطبيعيات والالهيات مبنى على هذا الجنس فإنيهم تصوروا الأمور على
 قدر ما وجدوه وعقلوه ، ومالم يألفوه قدروا استحالاته ولو لم تكن الرؤيا
 الصادقة مألوفة وادعى مدعى أنه عند ركود الحواس يعلم الغيب لأنكره
 المتصفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز أن يكون في الدنيا
 شيء هو بمقدار حبة يوضع في بلدة لياكل تلك البلدة بجملتها ثم يأكل
 نفسه فلا يبقى شيئاً من البلدة وما فيها ولا يبقى هو نفسه ، لقال هذا
 محال وهو من جملة الخرافات ، وهذه حالة النار ينكرها مالم ير النار إذا
 سمعها ، وأكثر إنكار عجائب الآخرة هو من هذا القبيل ، فنقول للطبيعي
 قد اضطررت إلى أن تقول في الأفيون خاصية في التبريد ليس على قياس
 المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون في الأوضاع الشرعية من الخواص
 في مداوة القلوب وتصفيتها مالا يدرك بالحكمة العقلية ، بل لا يبصر
 ذلك إلا بعين النبوة ، ما بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما
 أوردوه في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجرية في معالجة الحامل التي
 عسر عليها الطلق بهذا الشكل .

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

ب	ط	د
ز	هـ	ج
و	ا	ح

يكتب على خرقتين لم يصبها ماء وتنظر إليهما الحامل بعينها وتضعها

تحت قدمها فيسرع الولد في الحال إلى الخروج ، وقد أقروا بإمكان ذلك وأوردوه في كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر قرأته في طول الشكل أو في عرضه أو جوانبه - فياليت شعري من يصدق بذلك ، ثم لا يتسع عقله للتصديق بأن تقدير صلاة الصبح بركعتين والظهر بأربع والمغرب بثلاث هي لخواص غير معلومة بنظر الحكمة وسببها اختلاف هذه الأوقات وإنما تدرك هذه الخواص بنوره النبوة ، والعجب أنالو غيرنا العبارة إلى عبارة المنجمين لتعللوا اختلاف هذه الأوقات ، فنقول أليس يختلف الحكم في الطالع بأن تكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو في الغارب ، حتى يبنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف العلاج وتفاوت الأعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كوف الشمس في وسط السماء وبين المغرب وبين كون الشمس في الغارب فهل لتصديقه سبيل ، إلا أن ذلك يسمعه بعبارة المنجم لعله جرب كذبه مائة مرة ، ولا يزال يعاود تصديقه ، حتى لو قال المنجم له إذا كانت الشمس في وسط السماء ، ونظر إليها الكوكب الفلاني ، والطارح ، هو البرج الفلاني ، فلبست ثوباً جديداً في ذلك الوقت ، وربما يقاسى فيه البرد الشديد ، وربما سمعه من منجم وقد عرف كذبه مرات ، فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البداهة ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص معرفتها معجزة لبعض الأنبياء فكيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب ، فإن أنكر فلسفي إمكان هذه

الخواص في اعداد الركعات ورمى الجمار وعدد أركان الحج وسائر
تعبات الشرع ، لم يجد بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا
فإن قال قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من الطب ، فوجدت بعضه
صادقا ، فانقده في نفسى تصديقه ، وسقط من قلبى استبعاده ونفرتة ،
وهذا لم أجربه . فبم أعلم وجوده وتحقيقه أن أقررت بإمكانه ، فأقول
إذك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجريين وقلدتهم ،
فاسمع أقوال الأنبياء فقد جربوا وشاهدوا الحق في جميع ماوردنا به الشرع ،
واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على أنى أقول ، وأن لم تجربه
فيقضى عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعاً ، فإننا لو فرضنا رجلا
بلغ وعقل ولم يجرب المرض فمرض وله والد مشفق حاذق بالطب يسمع
دعواه في معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء فقال هذا يصلح
لمرضك ، ويشفيك من سقمك فماذا يقتضيه عقله ، وإن كان الدواء مرأ
كريبه المذاق ، أيناول ، أو يكذب ويقول ؟ أنا لا أعقل مناسبة هذا الدواء
لتحصيل الشفاء ، ولم أجربه ، فلا شك أنك تستحمقه إن فعل ذلك ،
وكذلك تستحمقك أهل البصائر في توقفك ، فإن قلت فبم أعرف شفقة
النبي عليه السلام ومعرفته بهذا الطب فأقول ، وبم عرفت شفقة أيبك
وليس ذلك أمراً محسوساً ، بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في
في مصادره وموارده علماً ضرورياً لا تمارى فيه ومن نظر في أقوال
رسول الله عليه السلام وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق
وتلطفه في جر الناس بأنواع الرفق واللطف إلى تحسين الأخلاق وإصلاح

ذات البين ، وبالجملة إلى ما يصلح إلى به دينهم ودنياهم ، حصل له علم ضروري بأن شفقتة على أمته أعظم من شفقه الوالد على ولده وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال ، وإلى عجائب الغيب الذي أخبر عنه القرآن على لسانه وفي الأخبار ، وإلى ما ذكره في آخر الزمان فظهر ذلك كما ذكره ، علم علماً ضرورياً أنه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت له العين التي يتكشف منها الغيب الذي لا يدركه إلا الخواص والأمور التي لا تدركها العقول ، فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري بتصديق النبي عليه السلام فحرب وتأمل القرآن وطالع الأخبار تعرف ذلك بالعيان ، وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرنا لشدة الحاجة إليه في هذا الزمان ، وأما السبب الرابع ، وهو ضعف الإيمان بسبب سوء سيرة العلماء فيداوي هذا المرض بثلاثة أمور .

أحدها أن تقول أن العالم الذي نزع أنه يأكل الحرام ، معرفته بتحريم الخمر ولحم الخنزير والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة ، وأنت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم إيمانك بأن معصية ، بل لشهواتك الغالبة عليك فشهوته كشهواتك ، وقد غلبته كما غلبتك ، فعله بمسائل وراء هذا يتميز به عنك لا يناسبه زيادة زجر عن هذا المحذور المعين ، وكمن مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد ، وإن زجره الطبيب عنه ، ولا يدل ذلك على أنه غير ضار ، أو على أن الإيمان بالطب غير صحيح فهذا محل هفوات العلماء .

الثاني أن يقال للعامي ينبغي أن تعتقد أن العالم اتخذ عليه ذخراً لنفسه في الآخرة ويظن أن عليه ينجيه، ويكون شفيعاً له حتى يتساهل معه في أعماله لفضيلة عليه وإن جاز أن يكون زيادة حجة عليه، فهو يجوز أن يكون زيادة درجة له، وهو ممكن، فهو وإن ترك العمل يدلي بالعلم، أما أنت أيها العامي إذا نظرت إليه، وتركت العمل، أنت عن العلم عاطل فتهلك لسوء عمالك ولا شفيع لك.

الثالث وهو الحقيقة أن العالم الحقيقي لا يصادف معصية إلا على سبيل الهفوة ولا يكون مصراً على المعاصي أصلاً، إذا العلم الحقيقي ما يعرف أن المعصية سم مهلك وأن الآخرة خير من الدنيا، ومن عرف ذلك لا يبيع الخير بما هو أدنى منه، وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها أكثر الناس، فلذلك لا يزدحم ذلك العلم، إلا جرأة على معصية الله تعالى، وأما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفاً ورجاءاً وذلك يحول بينه وبين المعاصي إلا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات، وذلك لا يدل على ضعف الإيمان فالؤمن مفتن تواب، وهو بعيد عن الأصرار والإكباب، هذا ما اردت ان اذكره في ذم القلسفة والتعليم وآفاتهما من انكر عليهما لا بطريقه.

ونسأل الله العظيم أن يجعلنا من أثره واجتباؤه، وارشده الى الحق وهداه، والهمة ذكره حتى لا ينساه، وعصمه عن شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

انتهى

كَيْسِيَا السَّعْدِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أصعد قلوب الأصفياء بالمجاهدة، وأسعد قلوب الأولياء
بالمشاهدة، وحلى السنة المؤمنين بالذكر (١) وحلى خواطر العارفين بالفكر،
وحرس سواد العباد عن الفساد، وحبس مراد الزهاد على السداد، وخلص
أشباح المتقين من ظلم الشهوات، ووصف أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات،

(١) لا ريب أن الصوفية مجمعون على أن الذكر منشور الولاية فمن أعطى
الذكر فقد أعطى المنشور وطريقة الغزالي التي وصل بها إلى مناه أنه
اختلف بذكر بالاسم المفرد الله حتى أراد الله سبحانه وتعالى ما أراه وإسمه
تعالى الله ومعناه « علم على الذات » مأذون بذكره في جميع الحالات لأنه
الاسم الجامع لجميع الحضرات وأما بقية أسماء الله تعالى الحسنى فإن الذكر
بها أو ببعضها إنما يكون بناء على الإشارات فلا تشغل نفسك في بدء السير
إلا يذكر اسم الذات وبه تتأهل للدخول في الحضرات فاذكره مستحضراً
معناه متمثلاً جلوسك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فإنه الامام الذي لن
يدخل أحد حضرة القدس إلا من طريقه .

وقبل أعمال الأخيار بأداء الصلوات ، وأيد خصال الأحرار بأسد
 الصلوات أحمدته حمد من رأى آيات قدرته وقوته ، وشاهد الشواهد
 من فردانيته ووحدانيتيه ، وطرق طوارق سره وبره ، وقطف ثمار
 معرفته من شجر سجده وجوده ، وأشكره شكر من اخترق واعترف
 من نهر فضله وإفضاله ، وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه
 وأنبيائه وأصفياه ، ووعدته وعيده وثوابه وعقابه ، وأشهد أن لا إله الله
 وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه لأصلاب الفسقة
 والفجرة قاصماً . ولعري الجاحدين والمارقين قاصماً . ولباغى الشك
 والشرك قاصماً ، ولأتباع الحق والإحسان ناصرأ ، فصلوات الله عليه
 وعلى آله وأصحابه أجمعين .



عنوان معرفة النفس

اعلم — أن الكيمياء الظاهرية لا تكون في خزائن العوام وإنما تكون في خزائن الملوك ، فكذلك كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ، ففي السماء جواهر الملائكة ، وفي الأرض قلوب الأولياء العارفين ، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق (١) ويكون عمله كالدينار البهرج فيظن في نفسه أنه غني وهو مفلس في القيامة كما قال سبحانه وتعالى « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن أرسل إليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي يعلمون الناس نسخة الكيمياء ويعلمونهم كيف

(١) وإنما يمكنك أخذ هذه الكيمياء كما يسميها حجة الاسلام من النبي صلى الله عليه وسلم إذا توجهت بكليتك في السير إليه واستحضرت ذاته ومثاله في الأذكار الخلوية وأخذ هذه الكيمياء من غير حضرته صلى الله عليه وسلم قليل الجدوى وخطأ في الطريق كما صرح رضى الله عنه به وأنت باب الله أى امرئ... أتاك من غيره لا يدخل .

وقد تؤخذ هذه الكيمياء عن بعض كبار العارفين ولكن عطايهم مصحوبة بالمن وكثيرة الفتن ولأدنى خاطر من المرید يغضب الشيخ فتشدد على السالك المحن ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم فاجعله شيخك كما جعله حجة الاسلام تأمن العثار وتعش حر الروح في الحضرة طليقا ومن رق الزوجية عتيقا .

يجعلون القلب في كور المجاهدة وكيف يطهرون القلب من الأخلاق المذمومة ، وكيف يؤدونه لطرق الصفاء كما قال سبحانه وتعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، أي يطهرهم من الأخلاق المذمومة ومن صفات البهائم ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم ، ومقصود هذه الكيمياء إن كل ما كان من صفات النقص يتعري منه وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه ، وسر هذه الكيمياء أن ترجع من الدنيا إلى الله كما قال سبحانه وتعالى « وتبتل إليه تبتيلا » وفضل هذه الكيمياء طويل .

فصل في معرفة النفس

إعلم — أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه وتعالى : « سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وليس شيء أقرب إليك من نفسك ، فإذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك ، فإن قلت إني أعرف نفسي فإنما تعرف الجسم الظاهر الذي هو اليد والرجل والرأس والجمجمة ولا تعرف ما في باطنك من الأمر الذي به إذا غضبت طلبت الخصومة وإذا اشتهيت طلبت النكاح ، وإذا جعت طلبت الأكل » وإذا عطشت طلبت الشرب ، والدواب تشاكك في هذه الأمور ، فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدري أي شيء أنت ومن أين جئت إلى هذا المكان ، ولأي شيء خلقت ، وبأي شيء

سعادتك ، وبأى شيء شقاؤك ، وقد جمعت في باطنك صفات ، منها صفات البهائم ، ومنها صفات السباع ومنها صفات الملائكة ، فالروح حقيقة جوهرها غريب منك وعارية عندك ، فالواجب عليك أن تعرف هذا وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة ، فإن سعادة البهائم في الأكل والشرب والنوم والنكاح ، فإن كنت منهم فاجتهد في أعمال الجوف والفرج ، وسعادة السباع في الضرب والفتك ، وسعادة الشياطين في المكر والشر والحيل ، فإن كنت منهم فاشتغل باشتغالهم ، وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة إليهم طريق فإن كنت من جوهر الملائكة فاجتهد في معرفة أصلك (١) حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الآلهية ، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب ، وتعلم أن هذه الصفات لأى شيء ركبت فيك ، فما خلقها الله

(١) بالاستغراق في الذكر والمكث في الحضرة الآلهية بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مازجا بروحك بروحه وعقلك بعقله حتى تتلقى منه الفيوضات ويتجلى عليك الحق تبعا لتجليه على الروح النبوية فاصل الامداد ينهل من هناك فلا تعرج بروحك مع الصور التي تتشكل في بعض العارفين فان هذا أكبر حجاب واجعل شعارك ما قال الخضر لموسى ، هذا فراق بيني وبينك ، حتى لا تشتغل بغير التوحيد واعلم أن روح النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الارواح اليك لأنك من نوره خلقت وعود الفرع إلى الأصل سهل الحصول .

تعالى لتكون أسيرها ولكن خالقها حتى تكون أسراك، وتسخرها للسفر
الذى قد أمك وتجعل إحداها مركبك والأخرى سلاحك حتى تصيد بها
سعادتك، فإذا بلغت غرضك فارم بها تحت قدميك وارجع إلى مكان
سعادتك، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الآلهية، وقرار العوام
درجات الجنة، فتحتاج إلى معرفة هذه المعاني حتى تعرف من نفسك
شيئا قليلا، فكل من لم يعرف هذه المعاني فنصيبه من القشور، لأن الحق
يكون عنه محجوبا.

(فصل) إذا شئت أن تعرف نفسك فاعلم أنك من شيئين الأول
هذا القلب - والثاني يسمى النفس والروح، والنفس هو القلب الذى
تعرفه بعين الباطن، وحققتك الباطن لأن الجسد أول وهو الآخر،
والنفس آخر وهو الأول، ويسمى قلبا وليس القلب هذه القطعة اللحمية
التي فى الصور من الجانب الأيسر، لأنه يكون فى الدواب والموتى، وكل
شئ تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة، وأما
حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو فى هذا العالم
غريب، وتلك القطعة اللحمية مركبه (١) وكل أعضاء الجسد عساكره

(١) فتزول الأنوار القدسية من أعمال العبادات أول ما تنزل على هذه
القطعة اللحمية التى هى مجمع الذرات الكهربائية فتنبث فيها وتسير فى عروق
الإنسان فتمتلئ النفس انشراحا وكلما كثرت الأنوار القدسية على تلك القطعة
اللحمية كلما كثرت أضواؤها على الحواس الباطنة والظاهرة وقد تتراكم
الأنوار على هذا القلب وتكثر الأشعة النورانية عليه حتى ليضيء الجسم =

وهو الملك ، ومعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة صفاته ، والتكليف عليه والخطاب معه وله الثواب وعليه العقاب ، والسعادة والشقاء تلحقانه ، والروح الحيوانى فى كل شىء تبعه ومعه ، ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى ، فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة ، وأصل معدنه من الحضرة الالهية ، من ذلك المكان جاء وإلى ذلك المكان يعود .

(فصل) أما سؤالك ما حقيقة القلب فلم يجىء فى الشريعة أكثر من قول الله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » لأن الروح جزء من جملة القدرة الالهية وهو من عالم الأمر ، قال الله عز وجل ألا له الخلق والأمر ، فالإنسان من عالم الخلق من جانب ، ومن عالم الأمر من جانب فكل شىء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق ، وليس للقلب مساحة ولا مقدار ، ولهذا لا يقبل القسمة ، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق ، وكان من جانب الجهل جاهلاً ومن جانب العلم عالماً ، وكل شىء يكون فيه علم وجهل فهو محال ، وفى معنى آخر هو من عالم الأمر ، وعالم الأمر عبارة عن شىء من الاشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه ، وقد ظن بعضهم أن الروح قديم فغلطوا ، وقال قوام إنه عرض فغلطوا لأن العرض لا يقوم بنفسه ويكون تابعاً لغيره فالروح هو أصل ابن آدم ، وقال ابن آدم تبع له فكيف يكون عرضاً ؟

= لحقيقة كأجساد الانبياء « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً » .

وقال قوم إنه جسم فغلطوا الآن الجسم يقبل القسمة ، فالروح (١) الذى

(١) قال الدهلوى فى الحجة قول الله تعالى « ويسألونك عن الروح ، الآية ، ليست نصا فى أنه لا يعلم أحد من الامة حقيقة الروح كما يظن وليس كل ماسكت عنه الشرع لا يمكن معرفة البتة بل كثيراً مايسكت عنه لدقته على العامة وإن أمكن معرفته للخاصة قال واعلم أن الروح أول ما يدرك من حقيقتها انها مبدأ الحياة فى الحيوان وأنه يكون حياً بنفح الروح فيه ويكون ميتاً بمفارقتها له ثم إذا أمعن فى التأمل ينجلي أن فى البدن بخاراً لطيفاً متولداً فى القلب من خلاصة الاخلاط يحمل القوة الحساسة والمحركة والمدبرة وتختلف هذه القوة الحساسة باختلاف رقة هذا البخار وغلظته وصفائه وكدره ومثل هذا البخار فى البدن مثل ماء الورد فى الورد وكمثل النار فى الفجم ثم إذا امعن فى النظر أيضاً انجلي أن هذا الروح مطية الروح الحقيقية وماده لتعلقها فالشئ الذى هو به هو ليس هذا الروح ولا هذا البدن بل الروح فى الحقيقة حقيقة فردانية ونقطة نورانية لها تعلق خاص بالروح المتكون من صحه المزاج والحيوية الناشئة من التفاعل الكيميائى الناتج من الغذاء وكما لها تعلق بهذه الروح . (أولاً) لها تعلق بالبدن . (ثانياً) من حيث أن البدن مطية الروح الكيميائى فالروح إذا هى الطاقة القدسية المتعلقة بالروح الكيميائية التى يسميها الدهلوى فى الحجة بالقسمة التى مطيتها البدن قال رضى الله عنه وقد تحقق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك التسمه عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها لانفكاك الروح القدسى عن القسمة ، إذا تحللت القسمة فى الأمراض المدتفه وجب فى حكمة الله أن يبقى شئ من القسمة بقدر ما يصح ارتباط الروح الالهى بها وإذا مات الانسان كان للقسمة نشأة أخرى تستمد مادتها من =

سميها قلبا وهو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة ، ومعرفة الروح صعبة جداً ، لأنه لم يرد في الدين طريق إلى معرفته لأنه لا حاجة في الدين إلى معرفته ، لأن الدين هو المجاهدة ، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه في معرفة حقيقة الروح ، وأول أسس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب ، لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد .

(فصل) أعلم أن النفس مركب القلب ، وللقب عساكر كما قال سبحانه وتعالى — وما يعلم جنود ربك إلا هو — والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلباً لسعادته ، وسعادته معرفة ربه عز وجل ، ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه ، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس ، والحواس من القلب والقلب مركبه ، ثم معرفة صيده ومعرفة شبكته ، والقلب لا يقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة ، وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش في

= الحياة البرزخية وتتصل بها الروح الالهى وهنا تنشأ الحياة البرزخية ويمكن تشبيه الانسان البرزخى على تصوير الدهلوى وهو من المكاشفين بما يشبه الانسان المتحرك على الشريط السينمائي فهو إنسان لطيف تخلص من المادة وبقيت نسمة هذه تفاض عليها مادة الحياة في النشأة البرزخية وقد تكتسى هذه النسمة كما قال الشيخ لباسا نورانيا أو ظلمانيا حسب عمل ابن آدم في الحياة .

الباطن ، وعلى خطر من الماء والنار في الظاهر ، وهو مقابل أعداء كثيرة .
 (فصل) وتحتاج أن تعرف العسكرين ، وذلك أن العسكر الظاهر
 هو الشهوة والغضب ومنارهم في اليدين والرجلين والعينين والأذنين
 وجميع الأعضاء ، وأما العسكر الباطن فمنزله في الدماغ وهو قوى الخيال
 والتفكير والحفظ والتذكر والوهم ، واكل قوة من هذه القوى عمل
 خاص ، فإن ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم في الدارين ، وجملة
 هذين العسكرين في القلب وهو أميرهما ، فإن أمر اللسان أن يذكر ذكر ،
 وإن أمر اليد أن تبطش ببطشت ، وإن أمر الرجل أن تسعى سعت ،
 وكذلك الجواس الخس حتى يحفظ نفسه كما يدخر الزاد للدار الآخرة
 ويحصل الصيد وتتم التجارة ويجمع بذر السعادة ، وهو لاء طاعون
 للقلب كما أن الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره .

فصل في معرفة القلب وعسكره

إعلم أنه قيل في المثل المشهور — إن النفس كالمدينة ، واليدين
 والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها . والقوة
 الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها — والملك يدبرهم حتى
 تستقر مملكته وأحواله لأن الوالي وهو الشهوة كذاب فضولي مخلط ،
 والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب ، فإن تركهم الملك على ما هم عليه
 هلكت المدينة وخربت ، فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالي
 والشحنة تحت يد الوزير ، فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة

وتعمرت المدينة ، وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية ، ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقياً في الآخرة .

(فصل) إعلم أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان أمر الطعام والشراب والنكاح لحم الحواس ، ثم النفس خادم الحواس والحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع الباري جلّت قدرته ، ثم الحواس خادم العقل وهو القلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الإلهية لأن الجنة وهي نصيب الجوف أو الفرج محتقرة في جنب تلك الجنة ، ثم العقل خادم والقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الإلهية ، فمن اجتهد في هذه الصنعة فهو عبد حق من غلمان الحضرة كما قال سبحانه وتعالى — وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون — معناه انا خلقنا القلب وأعطينا الملك والعسكر وجعلنا النفس مركبة حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين فإذا أراد أن يؤدي حق هذه النعمة جلس مثل السلطان في صدر مملكته وجعل الحضرة الإلهية قبلته (١) ومقصده وجعل الآخرة وطنه وقراره ، والنفس مركبه والدنيا

(١) يشير رضى الله عنه إلى ان القلب الذى يريد المعرفة يتوجه إلى الله بالمراقبة ووسيلة هذا عملياً على طريقة الغزالي ان تختلى للذكر مستحضراً معنى المذكور بالقلب محركا للسان بلفظ ، الله ، لأنه الاسم الجامع =

منزله واليدين والقدمين خدامه ، والعقل وزيره ، والشهوة عامله ، والغضب
شحنته ، والحواس جواسيسه ، وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له
احوال العوالم ، وقوة الخيال في مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده أخبار
الجواسيس ، وقوة الحفظ في وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع
الرقاع من يد النقيب ويحتفظها إلى أن يعرضها على العقل فإذا بلغت هذه
الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها ، فإذا رأيت واحداً
منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب فعليك بالمجاهدة ولا تقصد قتلها
لأن المملكة لا تستقر إلا بهما ، فإذا فعلت ذلك كنت سعيداً وأديت حق
النعمة ووجبت لك الخلعة في وقتها ، وإلا كنت شقياً ووجب عليك
النكال والعقوبة .

== للحضرات وعلى طريقة الغزالي أيضاً تستحضر النبي صلى الله عليه وسلم
في ذاكرتك لتمتزج بروحه وعلى قدر امتزاج روحك بروح النبي
صلى الله عليه وسلم يكون إمدادك وقد صرح الغزالي في المنفذ بأن إمامه
هو النبي المعصوم وليس للغزالي شيخ إلا النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة
الغزالي في الوصول إلى الحضرة الإلهية من باب النبوة هي أسلم الطرق
وأخصرها وهي مأمونة العواقب سيما للخوارج . فان قلت أليس الشيخ
بلازم في طريق الوصول إلى الله ؟ والجواب أن العوام لا يمكن انتفاعهم
إلا على يد الشيوخ ومن المؤكد أن انتفاعهم من الشيوخ محدود بالشيخ
ومعارفه وأسراره وأما مقامات المعرفة فليس لها إلا سبيل واحد وهو
ما شرحه الغزالي في كتبه ورسائله من الاستغراق في الجهاد على يد النبي
صلى الله عليه وسلم واتباع سنته والامتزاج بروحه صلى الله عليه وسلم .

(فصل) تمام السعادة مبنى على أشياء ، قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم ، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطا لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك ، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك فإذا توسطت القوتان بإشارة قوه العدل دل على طريق الهداية ، وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل وإذا نقص ، ذهب الغيرة والحمية في الدين والدنيا ، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور ، وإن نقصت كان العجز والفتور ، وإن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك .

(فصل) إعم أن للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء ، وبعضها أخلاق الحسن ، فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة ، وبالأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء ، وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس ، أخلاق الشياطين ، وأخلاق البهائم ، وأخلاق السباع وأخلاق الملائكة ، فأعمال السوء من الأكل والشرب والنوم والنكاح هي أخلاق البهائم ، وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة هي أخلاق السباع ، وكذلك أعمال النفس وهي المكر والحيلة والغش وغير ذلك هي أخلاق الشياطين ، وكذلك أعمال العقل التي هي الرحمة والعلم والخير هي أخلاق الملائكة (١) .

(١) وقد جعل الله سبحانه أدوية هذه الامراض والأخلاق السيئة في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فكل سنة دواء لمرض وكل مستحب =

(فصل) واعلم أن في جلد ابن آدم أربعة أشياء - الكلب والخنزير والشيطان والملك ، والكلب مذموم في صفاته وليس بمذموم في صورته وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم في صفاتهم وليس ذلك في صورهم وخلقهم ، وكذلك الخنزير مذموم في صفاته وليس بمذموم في خلقته ، وقد أمر ابن آدم بأن يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفا من الفتنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - مامن أحد إلا وله شيطان ولي شيطان وإن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته - وكذلك الشهوة والغضب ينبغي أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلون شيئا إلا بأمره فإن فعل ذلك صح له حسن الأخلاق وهي صفات الملائكة وهي بذر السعادة ، وإن عمل بخلاف ذلك نخدم الشهوة والغضب صح له الأخلاق القبيحة وهي صفات الشياطين وهو بذر الشقاء ، فيتبين له في نومه كأنه قائم مشدود الوسط يخدم الكلب والخنزير ، وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجلا مسلما يحبسهم عند كافرين فكيف يكون حالك يوم القيامة إذا حبست الملك وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير .

== علاج لخلق فالسنة عقاقير الأمراض فإن أردت أن تتخلص من أمراضك كلها فاعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأها أولا في كتب السنن كسنن أبي داود مثلاً وقرأ شمائل الترمذي وقلد النبي صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته وأكمله وشربه كل ذلك بقدر ما تستطيع . فاتقوا الله ما استطعتم .

(فصل) واعلم أن الإنسان في صورة ابن آدم اليوم (١) وغد تنكشف له المعاني فتكون الصور في معنى المعاني ، فأما الذي غاب عليه الغضب فيقوم في صورة الكلب ، وأما الذي غلب عليه الشهوة فيقوم في صورة الخنزير لأن الصورة تابعة للمعاني ، وإنما يبصر النائم في نومه ما صح في باطنه ، وإنما عرفت أن الإنسان في باطنه هذه الأربعة فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ويعرف من أي الأربعة هو فإن صفاته تحصل في قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة ، وإن بقي معه من جملة الباقيات الصالحات شيء فهو بذر السعادة ، وإن بقي معه غير ذلك فهو بذر الشقاء وابن آدم لا ينفك ولا ينفصل عن حركة أو سكون وقلبه مثل الزجاج وأخلاق السوء كال دخان والظلمة ، فإذا وصل إليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة ، وأخلاق الحسن كالنور والضوء ، فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم المعاصي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — اتبع السيئة الحسنة تمحها — والقلب

(١) وقد يكون في الصورة الملك اليوم وقد يكون في صورة النبي صلى الله عليه وسلم القوم فالتزاوج في الروح سبب للشقاوة أو السعادة والحب هو سبب هذا التزاوج فمن أحب كلباً أو زانية أو غلاماً فقد أصبحت روحه مكبلة بهذا الحجاب المؤدى إلى النار ومن استغرقت روحه في استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم حتى كأنه يراه أو حتى ينسى نفسه معه صلى الله عليه وسلم فقد دخل حضرة الله وتجلي له الحق على قدر تجليه على الروح المتعاقب بها وقد يستغرق الفكر في معنى الاسم الذي يذكره المرید حتى يتخلق بمعناه فيتجلى عليه الحق بأنوار هذا الاسم .

إما مضى أو مظلم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

(فصل) واعلم أن الشهوة والغضب اللتان في البهائم جعلتا أيضا في ابن آدم ، ولكنه أعطى شيئا آخر زيادة عليها للشرف والكمال ، وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى وجملة عجائب صنعه ، وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصل له صفات الملائكة ، ولذلك يظفر بالسباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا » .

فصل في عجائب القلوب

أعلم ان للقلب بايين للعلوم واحد للاحلام (١) والثاني لعالم اليقظة ، وهو الباب الظاهر الى الخارج فإن نام غلق باب الحواس ، فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت ، ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء ، وربما احتاج كشفه إلى شيء من تعبير الأحلام (٢) ، وأما

(١) إذا واظب المرید على الذكر بطريقة الغزالي في مجاهداته التي أساسها الخلو بالذكر مع تقليل الأكل والنوم والاتجاه بالكلية إلى الله عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم فانه يفتح عليه في النوم أولا بأن يؤمر ببعض الأعمال الصالحة من ذكر وغيره والذكر على المسبحة من مناهج الصوف فقد رأى الجنيد ممسكا مسبحته في آخر حياته فقيل له في ذلك فقال لا تتر شيئا وصلنا به إلى الله .

(٢) وهذا لأن طريق القوم في الغالب إشارات ومبدؤها في النوم

ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به اليقظة وأن اليقظة أولى بالمعرفة مع أنه لا يبصر في اليقظة شيء من عالم الغيب ، وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر طريق الحواس .

(فصل) وتحتاج أن تعرف في ضمن ذلك أن القلب مثل المرآة ، واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضا ، لأن فيه صورة كل موجود ، وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما في إحداهما في الأخرى ، وكذلك تظهر صور ما في اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من شهوات الدنيا ، فإن كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه وإن كان في حال النوم فارغا من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التي في اللوح المحفوظ وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال لذلك يكون الذي يبصره تحت ستر القشر ، وليس كالحق الصريح مكشوبا ، فإذا مات أي القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس ، وفي ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له « فكشفنا عنك

= وفي اليقظة على ألسنة العارفين ينتفع بها منهم من سار على نهجهم وقد يصل المرید بأشارة واحدة من أحد العارفين وقد كانوا يلقون بعضهم بعضا لينتفع كل بما عند الآخر من تجارب المجاهدات وهذه هي المشيخة والارادة في العهد الأول أي عصر الجنيد ومن معه أما نظام التشايخ والارادة في العصور المتأخرة فغير مفيد في الوصول إلى الله وإنما هو إرشاد كنظام الوعظ والأمر بالمعروف ولا بأس به للعوام أما حقيقة التصوف فهي التفرد بالمجاهدة كنجو نظام الغزالي والارتواء من كوثر النبوة مباشرة

غطاءك فبصرك اليوم حديد .

(فصل) واعلم أنه ما من أحد إلا ويدخل في قلبه الخاطر المستقيم .
وبيان الحق على سبيل الإلهام ، وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل
يدخل في القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت
والحواس مخلوقة لهذا العالم - عالم الملك - فلذلك يكون حجابها عن
مطالعة ذلك العالم إذا لم يكن فارغا من شغل الحواس .

(فصل) ولا تظن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح
باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من يد الشهوة والغضب
والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فإذا جلس في مكان خال وعطل
طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب في مناسبة عالم
الملكوت وقال دائما - الله الله الله - بقلبه دون لسانه إلى أن يصير
لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئا إلا الله سبحانه
وتعالى انفتحت تلك الطاقة ، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم
فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجليلة
وانكشف له ملكوت السموات والأرض ورأى ما لا يمكن شرحه
ولا وصفه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « زويت لي الأرض فرأيت
مشارقها ومغارها » وقال الله عز وجل « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت
السموات والأرض » لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من
الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى « واذكر اسم ربك
وتبتل إليه تبتيلا » معناه الانقطاع عن كل شيء ، وتطهير القلب من كل

شيء (١) ، والابتهال إليه سبحانه وتعالى بالكافية ، وهو طريق (٢) الصوفية في هذا الزمان ، وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء (٣) ، وهذه الدرجة

(١) لم يذكر الغزالي أنه ذهب لأحد الشيوخ وجلس بين يديه وأخذ منه العهد وصار معه كالميت بين يدي المغسل بل خلاصة تصوفه استغراق في الذكر بالاسم المفرد في الخلوة بمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم كما صرح به الغزالي في المنقذ فقد أجمع الصوفية على أن طريقهم لا بد فيه من الرفيق ألا ترى إلى مرافقة جبريل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وفيه إشارة كبرى إلى الأزواج في السير إلى الله لا أن يكون الشيخ حجاً بابا للريد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) يشير رضي الله عنه إلى طريقته هو التي وصل بها إلى الله وهي تلخص في المجاهدة من سهر وقلة أكل وعزلة عن الناس وذكر بالاسم المفرد مستحضراً معنى الاسم « الله » الذي هو « علم على الذات ، وجالساً بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واضعاً فاك على ثدي النبوة لن تقطم عن ثديه صلى الله عليه وسلم حتى تاتي حبيبيك :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزلى وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنى الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

هذه طريقة الغزالي وهي طريق الصوفية في القرون الأولى إلى عهد الغزالي أما ما نراه اليوم من شيوخ تجلس وحولها الاتباع يعبدون هذه الأشياء فانما ذلك كعبادة الناس فيما قبل الاسلام للكهان والأخبار ومن أكبر الحجب عن الوصول إلى الله تعلق الصور بعضها ببعض .

(٣) وهذه إشارة أخرى بل كرامة كبرى لحجة الاسلام رضي =

الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى « وآتيناهم لدنا علما » وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعليم ، والواجب التصديق بها حتى لا تحرم شعاع سعادتهم وهو

== الله عنه حيث كشف الله له عن مآل التصوف بعد عصره رضى الله عنه حيث أصبح عبارة عن حلقات يتعلم فيها المرید قواين التصوف عن بعض الشيوخ ويعيش المرید حياته عاكفا على التلمذة للشيخ وقد يكون الشيخ من العارفين فيمتدى المرید إلى طريق الاستقامة على يديه ولكن التصوف الذى ألف فيه الغزالي أحياءه ورسائله ليس هو هذا إنما تصوفه الذى انتهى به رضى الله عنه إلى الاطلاع على الملكوت من ملائكة وأنبياء ولوح وقلم .

فكان ما كان ما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخير وهذا التصوف لأصحاب الهمم العالية من أمثال الغزالي منله النبوة مباشرة من غير توسط الشيوخ الذين أن انتفع بهم العوام فلن يصل الخواص إلى مطلوبهم على أيديهم نعم قد يصل بعض المریدین على يد بعض الشيوخ كوصول أبي العباس المرسي على يد الشاذلي وبالتأمل فيما وصل اليه أبو العباس نجده قال « لو حجب عنى رسول الله طرفه عين ما عدت نفسي من الموحدين » فكانت مشيخة الشاذلي لأبي العباس مشيخة التوجيه كما كان نظام التصوف في عهد الجنيد والقرون من بعده إلى الغزالي يأخذ المرید الإشارة من الشيخ ثم يسبح مع الله وقد لا يلتقى بصاحب إشارته صرح بهذا المعنى عبد العزيز الدباغ لتلميذه ابن المبارك .

من عجائب القلب ، ومن يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » وقوله « وإذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إفك قديم » .

(فصل) ولا تحسب أن هذا خاص بالأنبياء والأولياء ، لأن جوهر ابن آدم في أصل الخلقة موضوع لها كالحديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم ، إلا الذي صدأ فيحتاج إلى إجلاء أو جذب فيحتاج إلى حقل أو سبك ، لأنه قد تلف وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة وإن لم تغلب عليه تلك الدرجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على فطرة الاسلام ، وقال الله تعالى « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، وكذلك بنو آدم في فطرتهم التصديق بالربوبية كما قال سبحانه وتعالى « فطرة الله التي فطر الناس » والآنبياء والأولياء هم بنو آدم قال سبحانه وتعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم ، فكل من زرع حصد ومن مشى وصل ومن طلب وجد (١) ، والطلب

(١) يشير رضى الله عنه إلى أن من سار على نهج القوم فإن يحرم من شرابهم فليس المقصود أن تفكر في السير لتصير مثل الغزالي أو مثل المرسي لأن هذا الخاطر من عوائق الفتوح عندهم بل أعبد الله لا للفتوح ولا للوصول بل اجلس في خلوتك ممسكا بيدك مسبحة الجنيد مستحضرا النبي صلى الله عليه وسلم فانك تشعر بالانس بالله وهذا أكبر سعادة أن من جلس مع الملوك لا يحرم من عطاياهم . إنفرد بالله لا يكن همك رؤية الأولياء

لا يحصل إلا بالمجاهدة ، وطلب شيخ بالغ عارف قد مشى في هذا الطريق
وإذا حصل هذان الشيئان لأحد فقد أراد الله التوفيق والسعادة ، بحكم
أزلى حتى يبلغ إلى هذه الدرجة .

(فصل) إن الله والسعادة لابن آدم معرفة الله سبحانه وتعالى
إعلم أن سعادة كل شيء لذته وراحته ، ولذة كل شيء تكون بمقتضى
طبعه ، وطبع كل شيء ما خلق له ، فلذة العين في الصور الحسنة ولذة
الأذن في الأصوات الطيبة وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ، ولذة
القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، لأنه مخلوق لها ، وكل ما لم يعرفه
ابن آدم إذا عرفه فرح به مثل الشطرنج إذا عرفها فرح بها ، ولو نهى عنها
لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر ، وكذلك إذا وقع في معرفة الله سبحانه
وتعالى فرح بها ولم يصبر عن المشاهدة ، لأن لذة القلب المعرفة ، وكلما كانت
المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر — ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير
فرح ، ولو علم الملك لكان أعظم فرحاً ، وليس موجود أشرف من الله
سبحانه وتعالى لأن شرف كل موجود به منه ، وكل عجائب العالم آثار
صنعتة ، فلا معرفة أعز معرفته ، ولا لذة أعظم من لذة معرفته ، وليس
منظر أحسن من منظر حضرته ، وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس
وهي تبطل بالموت ، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب ، فلا تبطل بالموت
= والشيخ حتى لا تعطلك هذه الصور الروحية عن المتعة بمحبوبك فقد
تلتقي بولي تراه تحببك رؤياه عن محبوبك سنين سر على طريقة الغزالي الذي
اختلى عشر سنين بمدينة دمشق فلم يخرج منها إلا بمحبوبه .

لأن القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذته أكبر وضوؤه أكبر لأنه
خرج من الظلمة إلى الضوء .

(فصل) واعلم أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم ، وفيها من كل
صورة في العالم أثر منه ، لأن هذه العظام كالجبال ، ولحمه كالتراب ، وشعره
كالنبات ، ورأسه مثل السماء ، وحواسه مثل الكواكب ، وتفصيل ذلك
طويل ، وأيضا فان باطنه صنّاع العالم ، لأن القوة التي في المعدة كالطباخ
والتي في الكبد كالخباز ، والتي في الأمعاء كالقصار (١) ، والتي تبيض اللبن
وتحمر الدم كالصباغ وشرح ذلك طويل ، والمقصود أن تعلم كم في باطنك
من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك ، وأنت في غفلة عنهم ، وهم
لا يستر يحون ، ولا تعرفهم أنت ولا تشكر من أنعم عليك بهم .

(فصل) في معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء التي يقال عنها في
علم التشريح وهو علم عظيم ، والخلق غافلون عنه ، وكذلك علم الطب ،
فكل من أراد أن ينظر في نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج إلى

(١) إنما تكمل هذه اللذة بتوبة كاملة من الصفائر والكبائر وشيء من
المجاهدات كصوم الأيام الفاضلة والتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
واتباع سنته بقدر الامكان ، لأن النبوة بحر لا ساحل له واستيعاب سنته عليه
السلام صعب إلا على من اصطفاهم الحق وجرّدوا من الماديات ، والاختلاء
بغار حراء التوحيد حتى تفجأ بالنور الأكل على يد جبريل الهامك فطريق
السير عبده الأنبياء وبينه الصديقون ونهيج عليه الموفقون .

معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الالهية ، الأولى أن يعرف أن خالق هذا الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى ، وليس عمل في العالم بأعجب من خلق الانسان من ماء مهين ، وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » فاعادته بعد الموت أهون عليه لأن الاعادة أسهل من الابتداء ، الثانية معرفة علمه سبحانه وتعالى وأنه محيط بالأشياء كلها لأن هذه العجائب والغرائب لا يمكن إلا بكمال العلم ، الثالثة أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالأشياء كلها ، وأنها لانهاية لها لما ترى في النبات والحيوان والمعادن من سعة قدره وحسن الصور والألوان .

(فصل) في تفصيل خلقه بنى آدم لأنها مفتاح معرفة الصفات الالهية وهو علم شريف ، وذلك معرفة عجائب الصنائع الالهية ، ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته ، وهو مختصر معرفة القلب ، وهو علم شريف إذ هو معرفة الصنائع الالهية لأن النفس كالفرس ، والفعل كالراكب ، وجماعهما الفارس ، ومن لم يعرف نفسه وهو يدعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذي ليس له طعام لنفسه وهو يدعى أنه يقوت فقراء المدينة فهذا محال .

(فصل) إذا عرفت هذا العز والشرف ، والكمال والجمال والجلال بعد أن عرفت جوهر القلب وأنه جوهر عزيز قاهر وهب لك وبعد ذلك خفي عنك ، فإنا لم نطلبه وغفلت عنه وضيعته كأن ذلك حسرة عظيمة عليك

يوم القيامة فاجتهد في طلبه ، و اترك أشغال الدنيا كلها (١) ، وكل شرف لم يظهر في الدنيا فهو في الآخرة فرح بلاغم ، وبقاء بلا فناء ، وقدرة بلا عجز ومعرفة بلا جهل ، وجمال وجلال عظيمان ، وأما اليوم فليس شيء أعجز منه لأنه مسكين ناقص ، وإنما الشرف غداً إذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم ، ويبلغ درجة انلاثة ، فان رجع إلى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة لأنهم يصيرون إلى التراب ، ويبقى هو في العذاب ، نعوذ بالله من ذلك ، ونستجير به ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) اتركها بقلبك لا أن تتركها بابطال عملك وتعطيل مقومات حياتك ليس التصوف أن تترك الدنيا وتجلس في جبل بل انزل إلى ميدان الحياة متصوفاً بأن تفرد قلبك لله فلا تشغله بالصور والمغريات والشهوات تصوف في درسك أيها الأستاذ وتصوف أيها العامل في عملك وتصوف أيها التاجر في متجرك كن كالعاشق المشغول قلبه بمحبوبه بينما هو يمارس جميع أعماله الدنيوية أن الحب مركزه القلب والتصوف يدور على حب الله ورسوله والتعلق بهما والهيام فيهما .

تمت

لِقَوْلِ الْعَمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموفق الذي وفق قلوب الاحباب ، لموافقة مراسيم السنة (١) وأحكام الكتاب الفتح الذي فتح بصائر أبصارهم فأبصروا مواقع نبال الارتياح في مقاتل أهل الحجاب الملمهم الذي ألهمهم الحجة البيضاء بالمحبة الخضراء فأصابوا أبقار الصواب ناداهم بلسان شأن المحبة من جناز المودة

(١) لن أمل من تنبيه طالب التصوف العالی أو تصوف الخصوص الذي رسم الغزالي حدوده ومعالجه إلى الدعائم العملية التي بنى عليها الغزالي تصوفه العالی فوصل به إلى القمة في هذا الشأن وهنا يشير إلى الدعامة الأولى وهي الكتاب والسنة والارتواء من وردهما الصافي بلا واسطة بمطالعة كتب السنة والعمل بما فيها وتفهم الكتاب وما فيه من الأوامر والعظات ثم غذاء الروح من ذات النبي صلى الله عليه وسلم كما يتغذى النبات وينمو من أشعة الشمس

كيف ينال المحب عن مشاهدة الأحياب فأكلوا نواظرهم بأئمة السهاد (١) وجفوا من مضاجعهم أطيب الرقاد وجدوا في أثر الاطلاع مع الطلاب وجعلوا نهارهم ليلا وأفراحهم ويلا وأرخوا لعز مولاهم ذيلا وتذللوا على الأعتاب فأقامهم في الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيهم فبإسعادتهم بتوفيقهم لوقوفهم على الأبواب وكشف لهم الحجاب عن جماله وكشط الضباب عن محاسن أبواب مقاله ، فردوا حيارى بمحاسن الأتراب أجروا مدامعهم جريان الأهار وأبدوا فجعهم عن زمن تولى من جر الأزار على الأوزار وطرقوا الباب فأتاهم الجواب يا عبادي أنا التواب على من أقلع عن الحوبة وإلى أناب روق لهم في دار الوصال شراب الاتصال فذاهيك به من شراب فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن حضورهم في حضراته (٢) وغدا كل بعقله مصاب فأين المهاجر في الهواجر ومن أكل المهاجر بالخناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب .

قد كشف المولى منيع الحجاب وأسمع الأحياب طيب الخطاب واحضروا حضرة أنس بها غابوا فعاشوا بعد موت العقاب

(١) يشير رضى الله عنه إلى ركن عظيم من أركان التصوف لا يحتاج أيضا إلى واسطة وهو قيام الليل بقدر الأمكان ، يا أيها المزمع قم الليل إلا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه .

(٢) يشير رضى الله عنه إلى أن المرید يدرج نفسه في مدارج الحب فانه إذا واطب على الذكر بالمسبحة الصوفية وتذكر الحق وتناسى نفسه مع المذكور فقد أوشك أن يشرف على عتبة التوحيد .

وفي مقام القرب أدناهم
 واتحفوا من فضله بالوفاء
 لهم الملوك الشم من خلقه
 قد تبعوا نهج سبيل الهدى
 واستمسكوا بسنة خير الورى
 وناقشوا أنفسهم خيفة
 إذا أتى الليل تراهم به
 يحيونه بالذكر كى يحيهم
 يراهم الحق بباهى بهم
 عليهم منى سلام مما

لما سقاهم فى المقام الشراب (١)
 محضاً من الأمن أمن العتاب
 ضنائن الحق لعز الحجاب
 واتبعوا حكم نصوص الكتاب
 وحاسبوا من قبل يوم الحساب
 من غضب الحق وهول العقاب
 فرحى لجمع الفرق تحت النقاب
 بذكره فى جمع أهل الثواب
 بهم عن الخلق يزول العذاب
 مالمع البرق وهل السحاب (٢)

أحمده حمداً أستوجب به الثواب وأشكره شكراً تزيد به زيادات
 أولى الألباب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنزهه
 عن الحلول والانحياز والظهور والبطون والابتداء وانتهاء والاشتهار
 والاحتجاب وتقدست ذاته المقدسة عن مقالات أولى الجملات من الكم

(١) ليس الشراب الذى يتحدث عنه الصوفية أمراً مجازياً بل هى أنوار
 حسيية من أنوار الذكر تدخل حلوقهم وأجسامهم تتغذى منه أرواحهم
 فاختل فى جنح الليل وناج محبوبك كأنك تراه تشرب من شرابهم وما
 عليك إلا أن تجرب هذا الشراب .

(٢) هذا النظم ليس من روح كلام الامام الغزالي بل هو دخيل على

وسائله كما يظهر .

والسكيف والابن والمكان والزمان والاياب والذهاب ، وأمجده بما أبرزه
بمحكمته من الاكوان عن التفكير والتدبير والمعاونة والمشاورة والراحة
والنصب والانتصاب وأعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل
والتبديل والتركيب والارتكاب وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله
أشرف محبوب وأعظم الأشراف وأخص الاحباب أرسله بفضل
الكتاب وفصل الخطاب وأيده بأفضل كتاب وأجل خطاب أفصح
الأعراب بالإعراب والاختصار والاسهاب وأعجز بلغاء الأحزاب ببدايع
النفي والایجاب فأنقذ الاحباب من مهاوى الارتياح ومغاوى الاعراب
وأعقب الاعراب بالعقاب على الاعقاب وكشف عن وجه نور الاسلام
مكفرات ظلمات الاشراك والضباب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
والاحباب وعلى الخلفاء الراشدين الاقطاب أبي بكر وأبي حفص عمر
وعثمان أبي تراب صلاة تحلنا دار النعيم وتخرجنا عن دار العذاب .

أما بعد : نفحنا الله وإياك بذسام قربه وسقانا وإياك من كاسات حبه
فان بيان كيفية طريقنا وبرهان أصل تحقيقنا مبني على عشرة قواعد توقظ
النائم وتقيم القاعد .

(القاعدة الأولى) النية الصادقة (١) الواقعة من غير التواء لقوله

(١) هذا هو الركن الأول من أركان الطريقة وهي الاتجاه الصادق
لبلوغ الملوب والتصميم الأكيد على السير في الطريق وعدم المبالاة بما
يعترضك من عقبات ولا بد من هذه العقبات تقام درنك ليمتحنك مح وبك
هل أنت من طلاب المحبة حقيقة أم أنت مدع كذاب والطريقة العملية =

عليه الصلاة والسلام — وإنما لكل امرئ ما نوى — والمراد بالنية عزم القلب وبالصادقة إنهاؤها للفعل والترك وبالواقعة استمرارها على هذه الخلة الاثيرة لان للتكرار تأثيراً ليس لغيره وعلامتها عدم تغيير جزمه بأعراض فانية وباقية في عزمه فان العمل للحق فلا يترك ما عزم عليه للخلق .

(القاعدة الثانية) العمل لله من غير شريك ولا اشتراك (١) لقوله عليه السلام «أعبد الله كما أنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» وعلامته أن لا يرضى بغير الحق ويرى ما سواه قاطعاً فيجذب الخلق لقول النبي المختار «تعس عبد الدينار» وليترك له سبحانه وتعالى جميع أمانيه لقوله عليه السلام «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وآكدها الشبهات فاحذرهما

== لتحقيق هذا الركن قراءة أخبار المحبين في كتب التصوف القديمة كرسالة الفشيري والحلية لأبي نعم وطبقات الأولياء وأخبارهم ومن هذه القراءات وأدائها توجد الرغبة أولاً في سلوك طريق القوم وبدون الشوق إلى بلوغ هذه المنازل لا توجد نية السير .

(١) الواقع أن الاخلاص ليس أمراً مكتسباً بل هو في حديث السهر وردي بهامش الاحياء سر من أسرار الله يهبه لمن يشاء وانظر إلى بقية الكلام الذي بناه على الاخلاص تجده غير منسجم مع هذا الأصل . وايس لهذه الكلمات عدوثة كلام الغزالي وروحانيته فترتيب عدم الرضا بغير الحق وترك جميع الأمانى وترك الشبهات على الاخلاص ترتيب غير منطقي ويغلب على ظني أن هذه الجمل دخيلة لأنها مفككة لا يرتبط بعضها ببعض ومعناها تافه وعلاقتها بالقواعد العشرة التي تشبه أن تكون مبادئ قرآنية لهذه الطريقة ضعيفة .

أن تضيقك لقوله عليه السلام « دع ما يرببك إلى ما لا يربك » فذاصحت هذه الأصول الثلاثة أثمرت أغصانها لك القربى فتكون بالصورة في الدنيا وبالمعنى في العقبى وعلى قدر همك وثباتك على الفعل والترك تحظى من الحديث المشهور « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » وعلامة القناعة لاكتفاء بما يذهب الحر والبرد والمسغبة لقوله عليه الصلاة والسلام « حسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبة » فلا يميل إلى صاحب القمح صاحب الشعير وإلى النقرة صاحب النقير والمستغنى بالحلال لا يقصد المباح ولا ينخفض إلى الشبهة الجناح وعلامة الغريب الحمل الخفيف وعدم الائتلاف بالثقل وترك السؤال فانه يؤدي إلى ظل الدخيل وعلامة عابر السبيل إمراع الاجابة ورضاه بما سبق إليه واستطابه وعلامة الميت إيثار مهمات دينه والمسألة في غوالب حينه .

(القاعدة الثالثة) موافقة الحق بالاتفاق والوافق (١) ومخالفة النفس

(١) معنى موافقة الحق بالاتفاق أن يكون هواه تبعاً لما جاءت به الشريعة وعدم معاناة الأمور والسير مع مراد الله وما ذكره في هذه القاعدة كله فهي آثار وأحوال ونتائج أعمال أما أصول الطريق فهي كما ذكرت في كتب الصبر وفيه ثلاثة عشر ، التوبة والخوف والرجاء والحزن والقناعة والزهد والورع والتوكل والصبر والشكر وجهاد النفس والرضا بالقضاء وترك العبادات التي ترك الاتفات لأحوالهم ولو مع الخلطة بهم ليحصل التغير بينه وبين العزلة التي هي ركن من الأركان الأربعة المجموعة في قول بعضهم .

بيت لولاية قسمت أركانه ساداتنا فيسه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر الزيه الغالى

بالصبر على الفراق والمشاق وترك الهوى وجهاء الملاذ والمكان والخلاف
ومن تَعُودُهُ خَرَجَ عَنِ الْحِجَابِ وَدَخَلَ فِي الْأَنْكَشَافِ فَعَادَ نَوْمَهُ سَهْرًا
وَإِخْتِلَاطَهُ عِزْلَةً وَشِبَعَهُ جُوعًا وَعِزَّتَهُ ذَلَّةً وَمَكَامَلَتَهُ صَمَاتًا وَكَثَّرَتْهُ قَلَّةً .

(القاعدة الرابعة) العمل بالاتباع لا الابتداع لئلا يكون صاحب

هوى ولا يزهو برأيه زهواً فإنه لا يفلح من اتخذ لنفسه في فعله ولياً بقوله
عليه السلام « عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشياً » .

(القاعدة الخامسة) الهمة العلية المجردة عن تسويق يفسدك فقد

جاء لا تترك عمل يومك لغدك لأن بعض الأعمال من بعض وإلا فمن

رضى بالأدنى حرم الأعلى والكامل المتبع هو السنن لا المتشيع والمتميز

والمبتدع لقوله عليه السلام « يا أحنباي عليكم بالسواد الأعظم » قالوا

يا رسول الله وما السواد الأعظم قال « ما أنا عليه وأصحابي »

(القاعدة السادسة) العجز والذلة لا معنى الكسل في الطاعات وترك

الاجتهاد بل عجزك عن فعل إلا بقدرته الحق الجواد وأن ترى الخلق بعين

التوقير والاحترام فإن بعضهم وسائط بعض إجلالا لحضرة ذي الجلال

والإكرام لأن سنة الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا ما أضافه إليه بنفي

الوسائط وإن أراد جلال حضرته تعظيما أضافه لغيره رعاية للضوابط

فاذا علمت أن الكل بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع إليه ، وتكبرت عليه

إلا بأمر وصل إليك من لدنه فاجعل عجزك في جنبه ومسكنتك

بالاعتذار ولا تتصور قدرة لك فإنها منازعة في الاقتدار .

(القاعدة السابعة) الخوف والرجاء معنى ، وعدم الاطمئنان بجلال الاحسان إلا عند العيان فحسن ظنك منك بالجواد الحسان .

(القاعدة الثامنة) دوام الورد (١) أما في حق الحق أو حق العباد ، فان من ليس له ورد فماله من الموارد أمداد فالديم يمل والحق يمل بملاله

(١) هذا من أهم أركان التصوف وقد كانت طريقة الجنيد وهو استاذ هذه الطريقة الذكر الدائم والصوم الدائم والطهارة الدائمة أما الصوم الدائم والطهارة الدائمة فملومان وأما الذكر الدائم فالصوفية يفضلون الذكر بالاسم المفرد وقد صرح الغزالي بأنه وصل بذكر الاسم الأعظم ، الله ، ومع هذا فمباكرة الطريق ذكروا باسماء أخر كان سيدي عبد الكريم الجبلي من اقداد هذه الطريقة وقد رتب لنفسه وأتباعه الذكر بثلاثة عشر اسماً كل اسم يذكر مائة ألف مرة وهي هذه . لا إله إلا الله . الله هو . حي . واحد . عزيز . ودود . حق قهار . قيوم . وهاب . مهيمن : باسط . وقد رأيت بعض كتب أتباع السيد أحمد الرفاعي أنهم يذكرون بهذه الاسماء وطوائف الخلواتية تذكر بأغلب هذه الاسماء وكثير من رجال الطريقة البيومية يذكرون بهذه الاسماء الثلاثة عشر وليس هذا معنى أن الصوفية ليس لهم أوراد إلا هذه الاسماء بل باب الأذكار النبوية وتلاوة القرآن مفتوح على مصراعيه لطلاب الآخرة لا يحتاج إلى أذن الشيوخ كما تفهم والعوام والذكر بغير الثلاثة عشر مستحب بالكتاب والسنة ولكن شيوخ هذه الطريق قد أخذوا بهذه الاسماء بالهام الإلهي والأوامر الروحية والسائرون الصادقون في هذا الطريق يؤمرون بذكر مخصوص كل بما يناسب حاله فلكل اسم خواصه وتجلياته التي تختلف باختلاف حال السائر وعلى المرید في إبتداء أمره أن يذكر بالاسماء التي ذكر بها أئمة هذه الشأن إلى أن يفتح الله فيؤمر بالأذكار التي تناسبه .

مخلاف الذي يفيت بأعماله وأقواله فان النفس تنبسط بذلك جهراً وضمراً
وتراعى حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً وشرأ فيحب ويبغض لهم
ما يحب ويبغض لنفسه خيراً وشرأ ويعمل لله تعالى ما يرضى كما يجب أن
يفعل الله به ما يرضى .

(القاعدة التاسعة) المداومة على المراقبة ولا يغيب عن الله سبحانه
وتعالى طرفه عين ، فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه وتعالى ونفى غير
الله وجد الله وإحسانه وعلم اليقين يحصل ذلك لك بجملة وهو أن ترى
الحركات والسكنات والأعيان بتحركه وتسكينه وقدرته سبحانه لا يستغنى
عنه شيء ثم تزيد مراقبته (١) إلى أن ترقى إلى عين اليقين ثم يقنى عن ذلك

(١) هذا الركن في نظري هو أهم أركان هذا الطريق والمراقبة المطلوبة
في طريق الصوفية نوعان مراقبة الحق سبحانه ومراقبة المشرف الروحي
على القلب السائر أما مراقبة الحق سبحانه فالمقصود منها عند الصوفية مناجاة
الحق سبحانه بأسمائه وصفاته كما أنك تراه ويقول الصوفية في كتبهم أن
هذه المراقبة عندهم هي مبدأ السير في ركب المحبين وأما مراقبة المشرف
الروحي فهي ملاحظة رفيق القلب الروحي ويعبر عنه في كتب التصوف
بالشيخ فملاحظة الشيخ عندهم ضرورة للسير في هذا الطريق الذي تقف
فيه الخواطر الشيطانية سداً منيعاً وبما لا ريب فيه أن الخواطر الشيطانية
التي تعرض المرید في مبدأ الطريق تحتاج لمطاردة عنيفة وروحانية المرید
في مبدأ الطريق قد لا تستطيع القيام بحمل الكفاح في هذه المعركة وحدها
فلا بد من رفيق روجي في السير وكلما كانت روح هذا الرفيق نفاذة =

به وذلك حقيقة اليقين فيقول ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه سبحانه
وتعالى هو القيوم على كل شيء بقيوميته وذلك الشيء هو القائم بأمره
وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة فتأدب مع الخلق وعاشراً أحسن

= فعالة في عالم الأرواح كلها استراح المرید في سيره وتجلي عليه الحق
بتجلي الروح المرافق وقد تحقق عندي بالوجدان الصحيح بعد تجاربي
 واجتماع بصوفية عصرى من أكابر العارفين أن مرافقه روح النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا الطريق أكبر معوان على اجتياز عقبات هذا الطريق أما
قول متأخرى الصوفية أن الشيخ موصل للنبي صلى الله عليه وسلم فهذا
الكلام إن كان معناه أن عوام السائرين الذين لم يدرسوا ، السنة ولم يتذوقوا
الاقتداء به صلى الله عليه وسلم لا يتوصلون إلى الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم إلا عن طريق محاكاة شيوخهم فهذا أمر مسلم وهو ما في طائفة عوام
السائرين في هذا الطريق وإن كان معناه أن روحانية المرید يشيخه توصله
إلى الاستمداد من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة فهذا أمر غير مسلم بل
أن روحانية المرید بالشيخ حجاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يعيش
مثل هذا المرید منظوياً في شيخه إلى الأبد والتزواج الروحي يعسر منه
الفكك وإذا يحسن أن يتجه المرید مباشرة خصوصاً إن كان من أهل للعالم
والمعرفة إلى التزواج بروح النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة كما فعل الغزالي
وأمثاله فاذا ضمنت التزواج بروح النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبادئ
الجنيد الثلاثة تصير الأركان أربعة .

الذكر الدائم . الطهارة الدائمة . الصوم الدائم ، المراقبة بقسميها على
الدوام .

المعاشرة قال عليه الصلاة والسلام « أدبني ربي فأحسن تأديبي »

(القاعدة العاشرة) علم يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهاداً لأن
من ظن أنه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معادا لقوله سبحانه لا رب
سواه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فهذا ما بنيت على
أعمدة قواعده قصورا من غير قصور ، وأسست عليه شوامخ الحجاز
لربات الحجور ، وحرثته بمحراث فدن وبذرتة بصنوف حبوب السعادة
وغرست في فرادسه مغارس الأذكار وأجريت في جفاته من الأوراد
والأمهار وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة ومهدته بمحذائق حقائق المكابدة
راجيا حصاد زرعى بمناجل المهم وقاصدا غنيمة إنفاقى من مواهب
الكرم ، والله تعالى يزكيه ويرتق فيه من ظهر فيه ومن التحق
به ممن يحييه إنه الجواد الكريم البر الرحيم والسلام على من اتبع الهدى
فما ابتدع ونفع وانتفع ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه المفلاحين ورحمته
وبركاته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار المعارف وضر أسرار
العوارف وعلى آله وصحبه وتابعى سبيله وحزبه والحمد لله الذى بنعمته
تم الصالحات وتعم البركات . « آمين » .

(تمت)

الأدب المفرد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقنا فأكل خلقنا ، وأدبنا فأحسن تأديبنا ، وشرفنا بحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فأحسن تشریفنا ، ثم أقول وبالله التوفيق إن أكل الأخلاق وأعلاها ، وأحسن الأفعال وأبهاها ، هو الأدب في الدين وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين ، وأخلاق النبيين والمرسلين ، وقد أدبنا الله تعالى في القرآن بما أرانا فيه من البيان وأدبنا بحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم في السنة بما أوجب علينا فله المنة ، وكذلك بالصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم ، وذلك جليل خطره ، كثير عدده ، نذكر بعضه لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه .

آداب

أدب المؤمن بين يدي (١) الله تعالى - إطراق الطرف وجمع الهم

(١) المراد منه إذا كان العبد في مجلس ذكر أو في الصلاة وفي الحقيقة =

ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة امتثال الأوامر ،
 واجتناب المناهي ، وقلة الاعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ،
 وتنزيه الفكر وتقييد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم الرب ، وقلة
 الغضب ، وكتمان الحب ، ودوام الإخلاص ، وترك النظر إلى الأشخاص
 وإيثار الحق ، واليأس من جميع الخلق ، وإخلاص العمل ، وصدق
 القول ، وتنزيه (١) الاطلاع ، وإحياء القربات ، وقلة الإشارة ، وكتمان
 الفائدة (٢) ، والغيرة على تبديل الاسم ، والغضب عند انتهاك المحرم ،
 ودوام الهيبة (٣) ، واستشعار الحياء ، واستعمال الخوف والسكون
 ثقة بالضمآن ، والتوكل معرفة بحسن الاختيار ، وإسباغ الوضوء على
 المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وارتعاش القلب خوف
 فوت الفرص ، ودوام التوبة (٤) خوف الإصرار ، ودوام التصديق

معظم الآداب التي سيدكرها أمام التصوف الأوحده - آثار وتاثير
 للتصوف القلبي ولذا فتكلف هذه الآداب غير مجد إلا ما كان منها عملياً فجمع
 لهم مثلاً عمل قلبي نتيجة لا ستغراق القلب في المراقبة وهكذا الشأن في
 دوام الإخلاص وكتمان الحب .

(١) لعل المراد الرضا بجميع أفعال الله واعتقاد الحكمة فيما تقع عليه

البصيرة .

(٢) لعل المراد عدم افشاء سر المحبوب كما هو دستور المحبة .

(٣) أي ملاحظة جلال الحق في جميع الحركات .

(٤) في الواقع دوام التوبة ركن الاستقامة بل هو الدعامة التي تقوم
 عليهما جميع الإخلاق والأعمال فان حصل منه ذنب استغفر بلسانه وقلبه سئل

بما غاب ، ووجل القلب عند الذكر ، وزيادة الأنوار عند الوعظ ،
واستشعار التوكل عند الفاقة ، وإخراج الصدقة من غير بخل
من الإمكان .

آداب العالم - لزوم العلم والعمل به ، ودوام الوفاق ، ومنع التكبر
وترك الدعاء به ، والرفق بالمتعلم ، والتأني بالمتعجرف ، وإصلاح
المسألة للبليد ، وترك الأنفة من قول لا أدري ، وتكون همته عند
السؤال خلاصه من السائل لإخلاق السائل ، وترك التكلف ، واستماع
الحجة والقبول لها وإن كانت من الخصم .

آداب المتعلم مع العالم - يبدوه بالسلام ، ويقل بين يديه الكلام ،
ويقوم له إذا قام ، ولا يقول له قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يسأل
جليسه في مجلسه ، ولا يبتسم عند مخاطبته ، ولا يشير عليه بخلاف
رأيه ، ولا يأخذ بشوبه إذا قام ، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى
يبلغ إلى منزله ، ولا يكثر عليه عند مله .

آداب المقرئ - يجلس جلسة الخشية ، واستماع الأمر ، وإنصات
الفهم ، وانتظار الرحمة ، والإصغاء إلى المشابه ، وإشارة الوقف
وتعريف الابتداء ، وبيان الهمزة ، وتعليم العدد ، وتجويد الحرف ،

== سهل بن عبد الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار
الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة
أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من
تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر .

وفائدة الخاتم، والرفق بالمبادئ، والسؤال عن المتعلم إذا غاب،
والحث له إذا حضر، وترك الحديث، ويبدأ المتلقن بقلبه ما يصل
لنفسه أو إذا احتاج إلى أن يؤم غيره (١).

آداب القارىء - يجلس بين يديه جلسة التواضع؛ وجمع القوم
وخفض الرأس، والاستئذان قبل القراءة، ثم الاستعاذة والتسمية،
والدعاء عند الفراغ.

آداب معلم الصبيان - يبدأ بصلاح نفسه، فإن أعينهم إليه ناظرة،
وآذانهم إليه مصغية، فما استحسنه فهو عندهم الحسن، وما استقبحه
فهو القبيح ويلزم الصمت في جلسته، والشزر في نظره؛ ويكون معظم
تأديبه بالرهبة، ولا يكثر الضرب والتعذيب. ولا يحادثهم فيجترئون
عليه ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه، ولا يمازح بين أيديهم

(١) ومن أهم الآداب أن يكون التعليم لله فلا يأخذ عليه أجراً ومعنى
الاصغاء إلى المتشابه أى لفت نظر القارىء إلى ما فى القرآن من متشابه
نحو يد الله فوق أيديهم، فيفهم القارىء أن هذا مما استأثر الله بعلمه
فلا يبحث فيه بل يقول كل من عند ربنا، وفائدة الخاتم أى إرشاد
القارىء إلى فوائد الختم وما فيه من استجابة الدعاء وعلى المعلم أن يحى
سنة الاسناد فيجيز تلاميذه بما يقرءون عليه ولو بعض المصحف كما هى
سنة السلف واعلم أن تجويد الحروف وإعطائها حقها ومستحقها
وإخراجها من مخارجها بصفاتهما فرض وبدون هذا يكون القرآن محرفاً
عن مواضعه حرام تلاوته والصلاة به آثم صاحبها يجب عليه إعادتها مادام
الوقت باقياً للنقص الذى فيها بسبب القراءة المحرمة لعدم التجويد.

أحداً ، ويتنزه عما يعطونه ، ويتورع عما بين يديه يطر حونه ، ويمنعهم من التحريش ، ويكفهم من التفتيش ، ويقبح عندهم الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب والنميمة ، ولا يسألهم عن أمر بيوتهم فيستثقلوه ، ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه ، ويعلمهم الطهارة والصلاة ، ويعرفهم ما يلحقهم من النجاسة .

آداب المحدث - يقصد الصدق ، ويتجنب الكذب ، ويحدث بالمشهور ، ويروى عن الثقات ، ويترك المناكير ، ولا يذكر ماجرى بين السلف ، ويعرف الزمان ، ويتحفظ من الذلل والتصحيف واللحن والتحريف ، ويدع المداعبة ، ويقل المشاغبة ، ويشكر النعمة إذا جعل في مقام الرسول ﷺ ، ويلزم التواضع ، ويكون معظم ما يحدث به ما يلتفت به المسلمون من فرائضهم وسننهم وآدابهم من معاني كتاب ربهم عز وجل ، ولا يحمل عليه إلى الوزراء ، ولا يغشى (١) . أبواب الأمراء فإن ذلك يزرى بالعلماء ، ويذهب بهاء عليهم إذا حملوه إلى ملوكهم ومياسيرهم ، ولا يحدث بما لا يعلمه في أصله ولا يقرأ عليهم

(١) قد تحقق ما أخبر به الغزالي من ذهاب بهاء العلم حين وقف بأبواب الملوك والروح الدينية الآن مبعوثة لا عن طريق العلماء بل عن طريق قوة الدين الكامنة في فطر المسلمين وطبائعهم الموروثة والذي يصيب المسلمين من العلماء الآن هو تشويش هذه الفطر بأراء فطيرة كالبحث في التوسل والوسيلة وتكفير المسلمين الذين يزورون الأولياء . ويتبركون بهم وكذب النصوف والمتصوفين .

ملا يراه في كتابه ، ولا يتحدث إذا قرىء عليه ، ويحذر أن يدخل حديثاً في حديث .

آداب طالب الحديث - يكتب المشهور ، ولا يكتب الغريب ، ولا يكتب المفاكير (١) ، ويكتب عن الثقات ، ولا تغلبه شهرة الحديث للسمع ، ويلزم الصمت بين يدي محدثه ، ويكثر التلفت عند إصلاح نسخته ، ولا يقول سمعت وهو ما سمع ، ولا ينشره لطلب العلو فيكتب من غير ثقة ، ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين ، ولا يكتب عن لا يعرف الحديث من الصالحين .

آداب الكاتب - حسن الخط ، وجودة البرى ، وإعراب اللفظ ، ومعرفة الحساب ، وسداد الرأي ، وحسن اللباس ، وطيب الرائحة ، والمعرفة بأخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين ، والتخوف من المصادر ، والعلم بأمر الخراج ، والمسامحة والخبرة في الموادات ، وترك الانحرام (٢) ، والتنزه عن الحرام ، واستعمال المروءة ، وحسن

(١) الحديث المشهور ما أول إسناده فرد ثم تعددت طرقه فيما بعد الصحابي الأول كحديث إنما الأعمال بالنيات طرأت له الشهرة من عند يحيى بن سعيد والحديث الغريب ما انفرد الراوى بروايته والمنكر الذى لا يعرف متنه من غير جهة راويه .

(٢) لعل المراد التبصر فى الأمور حتى لا تاتى على خلاف نظام الدولة =

العشرة ، والتحفظ عن الذلة ، وترك الرفث في المجالس ، ونفي المداعبة
والمحادثة والمداراة للحاشية .

آداب الواعظ - ترك التكبر ، ودوام الحياء من سيده (١) ،
وإظهار الفاقة إلى خالقه ، وشهوة المنفعة لمستمعه ، والإضرار على
نفسه لمعرفة عيبه ، والنظر إلى المستمعين إليه بعين السلامة ، وحسن
الظن بهم بباطن الديابة ، والإيثار منهم طلباً للصيانة ، والرفق
بالتأديب ، والعطف في المبتدئ ، واعتقاد فعل ما يقول لينتفع
الناس بما يقول .

آداب المستمع - إظهار الخشوع ، ودوام الخضوع (٢) ،
وسلامة للصور ، وحسن الظن ، واعتقاد القول ، ودوام السكوت ،
وقلة التقلب وجمع الهم ، وترك النهمة .

آداب الناسك - يكون وقته معلوماً ، وورده مضموماً ، وكلامه

= وتشبه وظيفة الكاتب في العصور الوسطى نظام السكرتير ، في
عصرنا هذا

(١) فيلاحظ أنه قد يعظ الناس وهو شر منهم فيتصاغر في نفسه
فيعظم عند ربه رؤى أحد الوعاظ بعد موته فسهل ما فعل الله بك فقال
أو قفني بين يديه وقال أنت الذي تعظ الناس ولا تعظ نفسك فقامت لكفى
يا مولاي كنت أبداً وعظي وأختمه بالصلاة على نبيك قال فعفا عني ،
(٢) أن ضميمته الخشوع إلى الخضوع في هذا المقام ليس من طريق
رص الألفاظ فقد رأيت في النوم سيدي أحمد الفرغل فقبلت قدمه وقلت
له ياسيدي بم أصل إلى الله فقال بالخشوع والخضوع .

مقسوما ، ودمعه مسجوما ، دائما خشوعه ، لازما خضوعه غاضا
 لطرفه ، عافا لقلبه ، مفكرا في دينه ، مراقبا لوقته ، مداوما لصومه ،
 ساهرا في ليله ، متورعا في مسكنه ، متقللا في مطعمه ومشربه ، متوقعا
 لنزول أجله ، مجانبا لقرناته ، تاركا لشهواته ، محافظا على صلواته ،
 عالما بزيادة حاله ونقصانه ، لا يحتاج إلى علم غيره مع عليه بحاله .

آداب اعتزال الناس - يكون فقيها في دينه ، عارفا بأمر صلاته
 وصيامه وزكاته وحجه ، يعتقد في اعتزالهم دفع شره عنهم ، ويحضر
 الجمع والجماعات ، ويشهد الجنائز ويهود المرضى ، ولا يخوض في
 حديثهم ، ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ، ولا يطمع نفسه في
 نائلهم حتى لا يكون له حاجة إلى جيرانه ؛ تكون أوقاته ثلاثة إما أن
 يصلي ويدرس فيعلم ، أو ينظر في كتبه فيتعلم ، أو ينام فيسلم يده من
 الذكر ، ويكثر الشكر حتى يتم له الأمر ، فإن كان له أهل يتحدث
 معهم ، ويجتهد في خلوته حتى يرى ميزان عزلته .

آداب الصوفي (١) - قلة الإشارة ، وترك الشطح في العبارة ،

(١) الصوفي على الحقيقة العبد الذي أخرجه الله عن هواه وأصبح
 صورة محمدية أوقاته معمورة بالطاعات وأنفاسه مشغولة في الحضرات لسانه
 رطب بذكر الله لا يجلس مجالس اللغو ولا يعرف بجامع اللهو لا يجيد عن
 السنة التي تأمست عليها الطريقة فقد كان الجنيد المتوفى سنة سبع وتسعين
 ومائتين - يقول وهو سيد هذه الطائفة - الطرق كلها مسدودة إلا
 على من اقتنى أثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم - وقال - من لم =

والتمسك بعلم الشريعة ، ودوام الكد ، واستعمال الجهد ، والاستيعاش

== يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن عملنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وقد نبغ في هذه الطريقة أعلام من الأمة المحمدية من النساء والرجال فمنهم من بلغ القمة في المحبة كرابعة ونفيسة ومنهم من بلغ القمة في الحكمة كالغزالي ومنهم من بلغ القمة في العلم كالسيوطي وعطاء الله لا يمكن حصره ومدد النبي صلى الله عليه وسلم لا يحبط عقل بكنهه بركاتهم لا تنكر وأنوارهم أظهر من القمر إلا نور وقد ذكر الغزالي في هذا الفصل أدب الصوفي ولم يذكر مریداً ولا شيخاً فالصوف عند دستور بكنهه يطبق على كل من يريد أن يسلك طريق القوم فالشيخة عنده كما كانت عند متقدمي الصوفية هي الصحبة والصحبة من لوازم الصوفية بها يتلقح الصغير من الكبير في أثناء السير وفي الفتوحات المكية أنه كان لأحد السائرين إلى الله رفيق يصوم النهار ويقوم الليل فقال له رفيقه وكان يجتمع بأبي يزيد البسطامي لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة لرأيت العجب من خالك فقال المرید المجد في الطاعة غاية الجهد لأحاجة لي بأبي يزيد فليس في طاقتي أن أجتهد في الطاعة أكثر من ذلك فقال له صاحبه أن رؤيتك لأبي يزيد مرة خير من عبادتك فأجابه المجتهد إلى ما طلب وانتظرا أبا يزيد ينزل من الجبل الذي يختلج فيه آخر النهار فلما رأى أبا يزيد أغشى عليه فقال أبو يزيد أن صاحبك صادق مع الله وكان يتجلى له الحق على قدر روحه فيطبق فلما رأنا تجلى له الحق على قدرنا فلم يعط فرؤية الرجال تنهض الهمم قال ابن عطاء الله لا تصحب إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله ، وقد تطورت هذه الصحبة التي تشير إليها قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة الكهف والتي كانت في

من الناس وترك الشهرة في اللباس ، وإظهار التجميل ، وإشعار
التوكل ، واختيار الفقر ، ودوام الذكر وكتبات المحبة ، وحسن
العشرة في الصحبة ، والغض عن المردان ، وترك مواخاة النسوان ،
ودوام درس القرآن .

آداب الشريف - يصون شرفه ، ولا يأكل بنسبه ، ولا يتعدى
بحسبه همته التواضع لربه والخوف من سيده ، ويأخذ الفضل على من
دونه ، ولا يساوى من هو مثله ، يعرف الفضل لأهل العلم وإن كان
مثلهم في العلم أو أعلم ، يلزم أهل الدين من أهل الفقه والقرآن ،
ويهدب أخلاقه ، ويتحفظ في ألفاظه عند غضبه وخطابه ، بكرم
جلسائه ، ويواصل إخوانه ، ويصون أقاربه ، ويعين جيرانه ،
ويزين بنفسه أخدانه .

== الصدر الأول للتوجيه فقط - إلى تلمذة مائة ينعدم فيها الصغير مع الكبير
ويفقد شخصيته فتكبت روحه لأنها موضوعة في أدنى وهي من العوالم
العلوية فلا تشرق في الكبت ولا تشرح فالمريد لا يتعدى شيخه ولا ينسلخ
من متابعتة يعيش تابعا ويموت تابعا بهذا مات التصوف الحر الطليق من
الرسوم والأوراد مات التصوف الرجل كابن الفارض وابن العربي والحلاج
والغزالي وبقي ما يتحدث عنه الغزالي في الأحياء بأنه نصوف من اغتروا
بالزى والهيئة والمنطق فقلدوا الصادقين في آدابهم وأحوالهم الظاهرة في
السمع والرقص والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في
الجيب وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث مع أنهم لم يتعبوا
أنفسهم بالمجاهدات ومرافبة القلب وتطهير الباطن .

آداب النوم - يتطهر قبل النوم ، وينام على يمينه ، ويذكر الله عزوجل حتى يأخذه النوم ، ويدعو إذا استيقظ ، ويحمد الله تعالى .
آداب التهجد - تقليل الغذاء (١) ونقصان الماء ، وإصلاح النهار

(١) لا تظن أن المقصود تقليل الغذاء كتنظيم الرياضات حتى يصل المرء إلى أن يعيش على تمرّة كما تقرأ ذلك في كتب الصوفية بل المراد أن يكون المرء في تهجده غير ممّتلئ حتى يشعر بالخشية وإعلم أن الصوفية الذين وصل غذاؤهم إلى تمرّة لم يكن هذا منهم متكلفاً بل كان حالاً لهم لا اختيار لهم فيه أما مثلي ومثلك فإن خرج عن السنة ضل وتاه وعدم الغذاء سبب الجنون والهوس أخرج إسماعيل القاضي من حديث أبي قلابة رضي الله عنه قال : د أراد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا وتركوا النساء وترهبوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة فقال إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع ، الحديث وروى عن ابن عباس في سبب نزول د ياءها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ، قال نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون الجمحي فتوافقوا أن يجبروا أنفسهم بأن يعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً وأن يلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً وأن يسيحوا في الأرض كهيئة =

باجتناب الغيبة والكذب واللغو ، وترك المحرمات ، والقيام من النوم

= الرهبان فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرهم فأتى عثمان بن مظعون في منزله فلم يجده فيه ولا إياهم فقال لامرأة عثمان أم حكيم ابنة أبي أمية بن حارثة السلمي : أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه - قالت ما هو يا رسول الله فأخبرها فكرهت أن لا تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت إن كان أخبرك عثمان فقد صدق فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولي لزوجك وأصحابه إذا رجعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم إني آكل وأشرب وأكل اللحم والدم وأنا وأتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فلما رجع عثمان وأصحابه أخبرتهم إمرأته بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا فما أعجبه فذروا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قلت فقيم التصوف إذا ؟ قلت إن التصوف الذي لا يضيع الجسم ولا العقل معه والذي يمكن من غير عنت وخرج على رياضة الروح بالذكر في الخلوة بقدر الامكان وحفظ الأنفاس من الضياع مع الناس فإذا أمكن ذلك في منزلك أو في الأماكن الخالية كالمساجد والمعابد فيها وإلا فبخلوة الروح والقلب مع ملازمة المدرب الروحي ولا أحب لك مدربا إلا ما أحب لنفسى وهو النبى صلى الله عليه وسلم وقائدة المدرب الروحي هو أن يوصل اليك ما تحمله من الأنوار والتجليات ويدفع عنك الشياطين والجن الذين يكرهون الانسان ويزينون له الشهوات ويوسوسون له بالشبهات والخلوة بالذكر عن غير مدرب روحى غير مجدية بل ربما كان ضررها بليغا ومن نتائج الذكر وامتلاء القلب به

بفزع وخوف ، وإسباغ الوضوء ، والنظر في ملاكوت السموات والدعاء
والحضور في الصلاة لفهم التلاوة .

آداب الخلاء - التسمية ، ثم الاستعاذة قبل الدخول ، وكشف
الثوب برفق بعد قربه من الأرض ، ومسح اليد بالثوب بعد الاستنجاء
مع الغسل ، والاستتار قبل الخروج ، والحمد والشكر بعد الخروج .

آداب الحمام - ستر العورة ، وغض البصر عن العورات ، وطلب
الخلوة ، وترك التكلم ، وقلة التلفت ، ومنع السلام ، وقلة الجلوس ، وغسل
الجنابة من قبل الدخول ، وغسل القدمين إذا خرج بالماء البارد فإنه
يذهب الصداع .

آداب الوضوء - السواك ، ودوام الذكر مع الغسل ، واستشعار
الهيبة من يقصد ، وبالتوبة بما كان ، والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل في
الصلاة ، والطهارة في أثر الطهارة ، وأخذ الشارب ، وشف الإبط ، وحلق
العانة ، وتقليم الأظافر ، والاختتان ، وغسل البراجم ، وتعاهد الأنف ،
ونظافة الثوب والبدن .

آداب دخول المسجد - يبدأ باليمين ، ويزيل ما في نعله من الأذى ،
ويذكر اسم الله عز وجل ، ويسلم على من حضر ، فإن كان خالياً سلم على
نفسه ، ويسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته ، ويجلس في مواجهة

= أن يقل الغذاء وربما يطوى بعض الصوفية الذاكرين يومين من غير
أكل رأيت ذلك من أحد العارفين الذين صحبتهم طريق القوم .

القبلة ، ويلزم المراقبة ، ويقبل المخاطبة ، ويترك الملاعنة ، ولا يرفع فيه
صوته ، ولا يشهر فيه سيفه ، ويمسك بنصال نبله ، ولا يصنع صنعته ،
ولا يثمد ضالة ، ولا يبائع ولا يشارى ولا يجامع ، فإذا انصرف بدأ
باليسرى ، وسأل الله تعالى من فضله ما يعطى .

آداب الاعتكاف - دوام الذكر ، وجمع الهم ، وترك الحديث ،
ولزوم الموضع ، وترك التنقلات ، وحبس النفس عن مرادها ، ومنعها
من محابها ، وجبرها على طاعة الله عز وجل .

آداب الأذان - يكون المؤذن عارفاً بوقته في الصيف وفي الشتاء ،
غاضاً لطرفه عند صعود المنارة ، ويلتفت في أذانه عند النداء بالصلاة
والفلاح ، ويرتل الأذان ، ويحذر في الإقامة .

آداب الإمام - يكون عارفاً بالصلاة وفرائضها وسننها ، فقيهاً بما
يحدث له في صلاته وما يفسدها ، ولا يؤم قوماً وهم له كارهون ، يجعل
من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف ، ويشير إليهم بلطف ،
ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا ، ولا يطيل التسبيح فيملوا ، ولا يخفف
بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة على قدر قوة أضعفهم ، ويتفرق في
ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا ، ويسكت سكتة قبل الحمد ، وبعد الحمد .
وإذا فرغ من السورة ، وينتظر في ركوعه من أحس به مالم يحذف بمن
وراءه ، وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه مالم يخفف فوت وقته ،
ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة ، وإذا فرغ نظر إلى ستر الله عليه
ومنته ، وازداد شكراً لسيدته ، وأدام له في كل حالاته الذكر .

آداب الصلاة - خفض الجناح ، وازوم الخشوع ، وإظهار التذلل وحضور القلب ، ونفي الوسواس ، وترك القلب ظاهر أو باطناً وهدوء الجوارح ، وإطراق الطرف ، ووضع اليدين على الشمال ، والتفكير في التلاوة ، والتكبير بالهيبة ، والركوع بالخضوع ، والسجود بالخضوع والتسبيح بالتعظيم ، والتشهد بالمشاهدة ، والتسليم بالإشفاق والانصراف بالخوف والسعي بطلب الرضا .

آداب القراءة - مداومة الوقار والحياء ، ومجانبة العبث والخبثاء ، ولزوم التواضع والبكاء . وخفض الجناح وسؤال الفاقة ، ولجأ الغريق ومعرفة بقدر نفسه ، وعظيم حرمة المسئول ، وبسط الكف عند الرغبة ، واليقين بالإجابة والخوف من الخيبة ، وانتظار الفرج وترك العدوان ، وصحة القصد واللجأ ، ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء .

آداب الجمعة - التأهب للوقت قبل دخوله والطهارة عند حضوره ، والبكور ، وغسل الجسد ونظافة الثوب ، وطيب الرائحة وترك التخطى وقلة الكلام ، ودوام الذكر (١) ، والقرب من الإمام .

(١) أقل مراتبه الذكر باللسان قال ابن عطاء الله في حكمه ، لا ترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز .

والإنصات للخطيب والانتشار لطلب العلم ، والمشي بالسكينة والوقار وترك تشبيك الأصابع ، ويقارب الخطى ، ودوام الإطراق ، وكثرة الشكر للرزاق ودخوله المسجد بالخشوع وورد السلام ، وترك الصلاة بعد جلوس الخطيب على المنبر ، وورد السلام عاياه بعد إشارته ، وترك الكلام واعتماد القبول للهو عظة ، وترك الالتفات عند إقباله ومخاطبته وترك القيام إلى الصلاة حتى ينزل من المنبر ، ويفر : من الإقامة .

آداب الخطيب - يأتي المسجد وعليه السكينة والوقار ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة ، ويمتنع من التخاطب ، وينتظر الوقت ، ثم ينظو إلى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما يقول على الجبار ، ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخشوع ، ويرتقى بالذكر ويلتفت إلى مستمعيه باجتماع الفكر ، ثم يشير إليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام ثم يجلس للأذان فزعاً من الديان ، ثم يخاطب بالتواضع ولا يشير بالأصابع ، ويعتقد ما يقوله ليلتفت به ، ثم يشير إليهم بالدعاء ، وينزل إذا أخذ المؤذن في الإقامة ، ولا يكبر حتى يسكتوا ثم يفتتح الصلاة ويرتق ما يقرأ .

آداب العيد - إحياء ليلته ، والاغتسال في صبيحة يومه ونظافة البدن ، وطيب الرائحة وإدامة التكبير ، وكثرة الذكر ، واستعمال الخشوع والتسبيح ، والحمد بين تضاعيف التكبير ، والإنصات للخطبة بعد الصلاة ، وأكل اليسير قبل الخروج إن كان فطراً ، والذهاب في طريق الرجوع في أخرى ، والانصراف بالإشفاق خوف الغيبة .

آداب الخسوف - دوام الفزع وإظهار الجزع ، ومبادرة التوبة ؛
وترك الملل ، وسرعة القيام إلى الصلاة طول القيام فيها واستشعار الحذر

آداب الاستسقاء - الصيام قبله ، وتقديم التوبة ، ورد المظالم ،
وبذل الهمة وترك المفاخرة ، والاعتسال قبل الخروج ، ودوام الصمت
ورؤية الحالة التي أوجبت المنع ، والاعتراف بالذنب الذي نزلت به
العقوبة واعتقاد ترك العود ، والإنصات للخطبة ، والتسبيح بين التكبير
و كثرة الاستغفار ، وتحويل الإزار مع الدعاء .

آداب المريض - الإكثار من ذكر الموت ، والاستعداد له بالتوبة
ودوام الحمد والثناء لله ، واستعمال التضرع والدعاء ، وإظهار العجز والفاقة
والتداوى مع الاستعانة بخالق الدواء ، وإظهار الشكر عند القوة ، وقلة
الشكوى وإكرام الجلساء ، وترك المصاحفة .

آداب المعزى - خفض الجناح ، وإظهار الحزن ، وقلة الحديث ،
وترك التبسم فإنه يورث الحقد .

آداب المشى مع الجنائز - دوام الخشوع ، وخفض البصر ، وترك
الحديث وملاحظة الميت بالاعتبار ، والتفكير فيما يجيب به من السؤال
والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة ، وخوف حسرة الموت عند
هجوم الموت .

آداب المتصدق - ينبغي له أداؤها قبل المسألة ، وإخفاء الصدقة عند
العطاء ، وكتبتها بعد العطاء ، والرفق بالسائل ولا يبدوه برد الجواب

ويرد عليه بالوسوسة في الوسوسة ، ويمتنع نفسه البخل ، ويعطيه ما سأل
أو يرده ردأجيلا ، فإن عارض العدو إبليس لعنه الله أن السائل ليس
يستحق فلا يرجع بما أنعم الله به عليه بل هو مستحق لها .

آداب السائل - يبدى الفاقة بصدق الحقيقة ، ويظهر السؤال بلطافة
القول ، ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وإن قل ، وحسن الدعاء ، فإن
رد عليه رجع بحميل قبول العذر ، وترك المعاودة والإلحاح (١) .

آداب الغنى - لزوم التواضع ، ونفى التكبر ، ودوام الشكر ،
والتوصل إلى أعمال البر ، والبشاشة بالفقير والإقبال عليه ورد السلام
على كل أحد ، وإظهار الكفاية ، ولطافة الكلمة ، وطيب المؤانسة ،
والمساعدة على الخيرات .

آداب الفقير - لزوم القناعة وكتمان الفاقة ، وترك البذالة والتضعضع
وإلقاء الطمع وإيثار الصيانة ، وإظهار الكفاية لأهل المروءة من أهل
الديانة ، وإجلال الأغنياء مع قلة الاستبشار لهم ، وإظهار الكفاية لهم
مع الإيأس منهم ، وترك التكبر عليهم ، مع نفي التذلل ، وحفظ القلب

(١) لعل الأولى حذف مثل هذه التراجم من كتب المسلمين إذ أدري
أن للسؤال أديبا بعد أن ذكر الغزالي في الأحكام أنه حرام تحت عنوان
باب تحريم السؤال من غير ضرورة ومثل هذا آداب الفقير هذه تعاليم تنافي
عزة الإسلام وأهله والأولى أن تكتب الفصول في علاج هذا المرض
واستئصاله من جسم الأمة .

عند رؤيتهم ، والتمسك بالدين عند مشاهدتهم .

آداب المهدي - إروية الفضل للمهدي إليه ، وإظهار السرور بالقبول لها ، والشكر عند رؤية المهدي إليه ، والاستقلال لها وإن كثرت .

آداب المهدي إليه - إظهار السرور بها وإن قلت ، والدعاء لصاحبها إذا غاب ، والبشاشة إذا حضر ، والمكافأة إذا قدر ، والثناء عليه إذا أمكن ، وترك الخضوع له ، والتحفظ من ذهاب الدين معه ، ونفي الطمع ثانياً .

آداب اصطناع المعروف - البداءة قبل السؤال ، والمبادرة به عند الوعد ، والتوقير له عند العطاء ، والستر له بعد الأخذ ، وترك المنة بعد القبول ، والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه .

آداب الصيام - طيب الغذاء ، وترك المرأ ومجانبة الغيبة ، ورفض الكذب وترك الأذى ، وصون الجوارح عن القباح .

آداب الحج

آداب الطريق - طيب النفقة ، والإحسان إلى المكارى ، ومعاونة الرفقة والرفق بالمنقطع ، وبذل الزاد ، وحسن الخلق وطيب الكلمة ، والمزاح من غير معصية ، واختيار التعديل ، والاستبشار به عند رؤيته والإصغاء عند محادثته ، وقلة المهاراة له عند ضجره ، والتغافل عن زلته والشكر له عند خدمته ، والتوصل إلى إيثاره ومساعدته .

آداب الإحرام - غسل الجسد ونظافة الإزارين ، وطيب الرائحة
وتعاهد الجياح والتلبية بالهيبة ورفع الصوت بحلاوة الإجابة ، والطواف
بتعظيم الحرمة ، والسعى بطلب الرضاء ، والوقوف بمشاهدة القيامة ،
وشهود المشعر برؤية الرحمة والحلق برؤية العتق ، والذبح برؤية الكفارة
والرمي برؤية الطاعة ، وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد
والرد بحقيقة الأسف ، والانصراف بحجة الرجوع .

آداب دخول مكة - دخول الحرم بالتعظيم والنظر إلى مكة بالتحسر
ورؤية المسجد بالتفضيل ، ونظر البيت بالتكبير والتهليل ، ودوام
الطواف ومواصلة العمرة ، ودخول البيت بتعظيم الحرمة ، ودوام التوبة
بعد دخوله .

آداب دخول المدينة - يدخلها بالوقار مع السكينة ، والمشاهدة لما
كان فيها من الشريعة ، والنظر إليها بالعين الرفيعة ، ثم يأتي مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطابته ، ثم يأتي قبره (١)
وكانه ناظر إلى شخصه الكريم ، ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرته
كأنه معان لجلسته ؛ فيبدؤه السلام ، ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتهم
له ومشيته بينهما ، وإقباله عليهما ، وإذا ودع القبر فلا يوليه الظهر .

(١) اعلم من محن الإسلام الكبرى أن يظهر في المسلمين علماء ينفرون
المسلمين من زيارة قبر النبي عليه السلام ويتفقهون بحديث شد الرجال
وليس هنا محل نقاشهم .

آداب التاجر - لا يجلس في طريق المسلمين فيضيّق عليهم ، ويستعمل
 غلاما كيسا لا يبخس في كيله ، ولا ينقص في وزنه ، يأمره بالرجحان
 وترك العجلة في الميزان ، يكون ميزان دراهمه في حدته كالطيّار ، ومن
 اعتداله كالطيّار ، طويلة خيوطه دقيقة ذوائبه ، معبرة صنجاته معتدلة
 حياته ، يبتدىء كل يوم بمسح ميزانه ، ويتصاعد نقص أرطاله وصنجاته
 يأمر غلامه بالترقف في كيله الأدهان ، وإذا وقف عليه شريف أكرمه
 أوجار فضله ، أو ضعيف رحمه ، أو غير هؤلاء أنصفه . يبيع على قدر
 أسعاره إن نقص سعره زاد زبونه ، كما أنه إن زاد سعره نقص زبونه
 وتكون همته في جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم والغلبان
 يشتري عرضه باليسير من سفينة يقف عليه . لا يرد السائل ولا يمنع
 البشر من النائل ، فإن كان هو المتولى لأمره كان ما يلزم غلامه هو أولى
 به ، ويشترى الأرطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات وينرك
 المدح للسلامة عند البيع ، والذم لها عند الشراء ويلزم الصدق عند الاخبار
 ويحذر الفحش عند المزايدة ، والكذب عند المحادثة ويقل الخوض مع
 أهل الأسواق ومداعبة الأحداث ويقصر في الخصومات .

آداب الصيرفي - يعتقد الصراحة ويؤدى الأمانة ويحذر الربا
 ويقرب الدسئية ولا ينفق الرديئة ويوفى الوزن ولا يعتقد الغش والغبن
 متفقداً لمعياره ، خائفاً من نقصان صنجاته ومثاقيله .

آداب الصائغ - استعمال النصيحة ، والاجتهاد في الجودة وقلة الماطل
 ووفاء الوعد ، وترك التعدي في الأجرة .

آداب الأكل - غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، والتسمية والأكل باليمين وبما يليه ، ويصغر اللقمة وإجادة المضغ ، وقلة النظر إلى وجوه الحاضرين ، وبأكل متكئاً ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع ، ويعتذر إذا شبع حتى لا ينجس الضيف أو من به حاجة ، وبأكل من جوانب القصة ولا يأكل من ذروتها ، وينظف الأصابع بعد الفراغ ، ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينقص على الحاضرين .

آداب الشرب - ينظر في إنائه قبل شربه ، ويسمى الله تعالى قبله ويحمده بعده ، ويمصه مصاً ولا يعبه عبا ، ويتنفس في شربه ثلاثاً يتبعه بالتحميد ويرد بالتسمية ولا يشرب قائماً ، ويناول من كان على يمينه إن كان معه غيره .

آداب الرجل إذا أراد الزواج - يطلب الدين ثم بعده الجمال والمال إن أراد ، ولا يشارط على ما يأتيه ، ولا يضمه ولا يخطب على خطبة أخيه ولا يأذن في أملاكه وعرضه بما يباعده من ربه ويزريه ، ولا يجلس في خلواته حيث يرى غيره حرمة ، ويقبلها بين أهله وأهلها ويبدوها إذا خلا في سؤاله ، ولا يكون سفيره كذبا ، ولا المخبر له تماماً بل من خاصتها ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لهيأها ، وعن حياتها ونظافتها وحسن ألفاظها وقبحها ولزوم عقربيتها وبرها بوالديها ، ويتلطف قبل العقد في النظر إليها ، وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل ، ويبحث عن نخصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها .

آداب المرأة إذا خطبها الرجل - تأمر من تأمن به من أهلها إن كان صدوقاً أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته في نفسه وصدقه في وعده وتنظر من قرباؤه ، ومن يغشاه في بيته ، وعن مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته في تجارته وصنعتة ، ويكون رغبته في دينه دون ماله أو في سيرته دون شهرته ، تعزم معه على القناعة وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للألفة وأثبت للمودة .

آداب الجماع - طيب الرائحة ولطافة الكلمة وإظهار المودة ، وتقبيل الشهوة والتزام المحبة ، ثم التسمية وترك النظر إلى الفرج فإنه يورث العمى والستر تحت الإزار وترك استقبال القبلة .

آداب الرجل مع الزوجة - حسن العشرة ولطافة الكلمة وإظهار المودة والبسط في الخلوة والتغافل عن الزلة ، وإقالة العثرة وصيانة عرضها وقلة مجادلتها وبذل المؤنة بلا يخل لها وإكرام أهلها ودوام الوعد الجميل ، وشدة الغيرة عليها .

آداب المرأة مع زوجها - دوام الحياء منه وقلة المماراة له ولزوم الطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والحفظ له في غيبته وترك الحياة في ماله وطيب الرائحة وتعهد الفم ونظافة الثوب وإظهار القناعة واستعمال الشفقة ودوام الزينة وإكرام أهله وقرابته ورؤية حاله بالفضل وقبول فعله بالشكر وإظهار الحب له عند القرب منه وإظهار السرور عند الرؤية له .

آداب الرجل في نفسه - لزوم الجمعة والجماعة ونظافة الملابس وإدانة السواك ولا يلبس المشهور ولا المحقور ، ولا يطيل ثيابه تكبراً

لا يقصرها تمسكنا ، ولا يكثر التلفت في مشيئته ، ولا ينظر إلى غير حرمة
ولا يبصق في حال محادثته ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه
ولا يكثر لإخوانه الحديث عن زوجته وما في بيته .

آداب المرأة في نفسها - أن تكون ملازمة لمنزلها ، قاعدة في قعر
بيتها ، لا تكثر صعودها ولا اطلاعها لكلام جيرانها ، ولا تدخل عليهم
إلا في حال يوجب الدخول تسربلها في نظره ، وتحفظه في غيبته
ولا تخرج من بيته وإن خرجت فمتخبئة تطلب المواضع الخالية
مصونة في حاجاتها بل تتماكر بمن يعرفها ، همتها إصلاح نفسها وتدبير
بيتها مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة في عيها متفكرة في دينها دائمة
صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائفة لبعلمها تحته على
طلبه الحلال ، ولا تطلب منه الكثير من النوال ظاهرة الحياء قليلة
الحناء صبور شكور مؤثرة في نفسها مواسية من حالها وقوتها وإذا
استأذن بياها صديق لبعلمها وليس بعلمها حاضرأ لم تستفهمه ، ولا
في الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها وبعلمها منه .

آداب الاستئذان - المشي بجانب الجدار ولا يقابل الباب والتسبيح
والتحميد قبل الدق والسلام بعده وترك السمع إلى من في المنزل
واستئذان بعد السلام فإن أذن له وإلا رجع ولم يقف ولا يقول أنا
بل يقول فلان إذا استفهم .

آداب الجلوس على الطريق - غض البصر ونصر المظلوم وإغاثة
الملموف وإغاثة الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل
وترك التلفت والإمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق واللطف فإن أصر

فبالرفاهة والعنف ولا يصفى إلى الساعى ببينة ولا يتجسس ولا يظن
بالناس إلا خيراً .

آداب المعاشره - إذا دخل مجلساً أو جماعة سلم وجلس حيث المتسع
وترك التخطى وخص بالسلام من قرب منه إذا جاس وإن بلى بمجالسة
العامة ترك الخوض معهم ولا يصفى إلى أراجيفهم ويتغافل عما يجرى
من سوء ألقاظهم ، ويقل اللقاء لهم إلا عند الحاجة ولا يستصغر أحداً من
الناس فيهلك ولا يدرى لعله خير منه وأطوع لله منه ، ولا ينظر إليهم بعين
التعظيم في دنياهم لأن الدنيا عند الله صغيرة ما فيها ولا يعظم قدر الدنيا في
نفسه فيعظم أهلها لأجلها فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال
من دنياهم فيصغر في أعينهم ولا يعاديهم فتظهر لهم العداوة ولا يعطيق ذلك
ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة في الله عز وجل فيعادي أفعالهم
القيحة وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة ، ولا يشكر إليهم في مودتهم له
ولا كرامهم إياه وحسن بشاشتهم في وجهه وثنائهم عليه فإن من طلب
حقيقة ذلك لم يجده إلا في الأقل وإن سكن إليهم وكاه الخلق إليهم فملك
ولا يطمع أن يكونوا له في الغيب كما هم له في العلانية فإنه لا يجد ذلك أبداً
ولا يطمع فيما في أيديهم فينزل لهم ويذهب دينه معهم ولا يتكبر عليهم ،
وإذا سأل أحداً منهم حاجة فقضها فهو أخ مستفاد وإن لم يقضها فلا يذمه
فيكتب عداوته ولا يعظ أحداً منهم إلا أن يرى فيه أثر القبول وإلا
عاده ولم يسمع منه ، وإذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو ثناء فليرجع
بذلك إلى الله عز وجل ويحمده ويسأله أن لا يكره إليهم ، وإذا رأى

منهم شراً أو كلاماً قبيحاً أو غيبة أو شيئاً يكرهه فليقل الأمر إلى الله تعالى
ويستعذبه من شرهم ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فإنه لا يجد عندهم للعتاب
مرضعاً ويصيرون له أعداء ولا يشفي غيظه بل يتوب إلى الله من الذنب
الذي به سلبهم عليه، ويستغفر الله منه ولا يمكن سمية الحقهم أصم عن باطلهم

آداب الولد مع والديه - يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمثل
لأمرهما ويلبي دعوتهما ويخفض لها جناح الذل من الرحمة ولا يرهقهما
بالإلحاح ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر إليهما
شزراً ولا يعصى لهما أمراً .

آداب الوالد مع أولاده - يعينهم على بره ولا يكفهم من البر فوق
طاقتهم ولا يبلع عليهم في وقت ضجرهم ، ولا يمنهم من طاعة ربه ولا يمن
عليهم بتر بيته .

آداب الإخوان - الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام
والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشجيع عند القيام والإنصات عند
الكلام ، وتكره المجادلة في المقال وحسن القول للحكايات وترك
الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الأسماء .

آداب الجار - ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه
السؤال ويعوده في مرضه ويعز به عند مصيبتة ويهنئه في فرجه ويتلطف
لولده وعبدته في الكلام ويصفح عن زلاته ومعاتبته برفق عند هفوته
ويغض عن حرمة ، ويعينه عند صرخته ، ولا يديم النظر إلى خادمته .

آداب السيد مع عبده - لا يكافه مالا يطيق من خدمته ويرفق به

عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سببه فيجر أعليه ويصفح عن زلاته ويقبل
معذرتة وإذا أصلح له طعاماً أجلسه معه على مائدته وأعطاه إقاماً من طعامه .
آداب العبد مع سيده - يأتمر لأمره ، وينصحه في غيبته ، ويبذل
له خدمته ويحفظه في حرمة و يرق على ولده ولا يخونه في ماله .

آداب السلطان مع الرعية - استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر
قبل الأمر . وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم ، والتودد
لى العامة مع مزج الرهبة لهم ، والتطلع على أمور الحاشية واستعمال
المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الأصحاب والأقارب ، والرفق
فى الجنابة ودوام الحماية .

آداب الرعية مع السلطان - قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة
به إلا شئ . يلزم أمره ، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق ، وترك
الاستجراء عليه وإن كان ذا لين وقلة السؤال وإن كان مجيباً ، والدعاء
له إذا ظهر ، وترك الكلام فيه والإفشاء إذا غاب .

آداب القاضى - إيمان السكوت واستعمال الوقار وهدوء الجوارح
ومنع الحاشية من الفساد والطغيان والرفق بالأراذل والاحتياط لليتيم
والتوقف فى الجواب والرفق بالخصوم ومنع الميل إلى أحد الخصمين
والموعظة للمخالف ودوام اللجأ إلى الله فى صواب القضاء .

آداب الشاهد - استعمار الأمانة وإظهار الصيانة واستعمال
الديانة وترك الخيانة والتثبت فى الشهادة والتحفظ من الدسيان وقلة
المجادلة للسلطان .

آداب الجهاد - صدق النية والعزيمة لله تعالى وبذل الجهود والسخاء

بالمهجة ونفي شهرة الرجوع والقصد في أن تكون كلمة الله هي العليا
وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند
القتال وفي كل حال .

آداب الأسير - لا يؤمل فرجا من غير الله تعالى ولا يبذل نفسه
في معصية الله تعالى ، ولا يأس من روح الله تعالى ، ويجمع همه بين
يدى الله تعالى ، ويعلم أنه بعين الله ولا يندسط في مال العدو بما لا يبيحه
الله تعالى ، ولا يفرع إلى غير الله تعالى .

آداب جامعة

قال بعض الحكماء من الأدب : ألق صديقك وعدوك بوجه الرضاء
من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقر من غير كبر ، وكن في جميع
أمورك في أوساطها ، ولا تنظر في عطائك ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف
على الجماعات ، وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك والعبث
بمخاطمك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وطرده الذباب عن وجهك
وكثرة التمطي والتشاوب ، ولا يكن مجلسك هادئا وكلامك مقسوما واصغ
إلى الكلام الحسن بمن يحدثك بغير إظهار العجب منك ولا مسكنة ولا
إعادة وغض من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك
ولا جارئك ولا تتصنع كما تتصنع المرأة ، ولا تبدل كما يتبدل العبد .
وكن معتدلا في جميع أمورك وتوق كثرة الكحل والإصراف في الدهن
ولا تلمح في الحكايات ولا تعلم بمالك ولدك فضلا عن غيرهم فإنهم

إن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ إلى رضاهم وأجهم
 من غير عنف وإن لهم من غير ضعف وإذا خاصمت فتفكر ، وتفكر
 في حجبتك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تجث على ركبتيك وإذا هدأ
 غضبك فتكلم وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر ، ولا تأمل
 من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكله بما يشاء ، وإياك أن
 تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ولو كان مستمراً لذلك ، وإياك
 وصديق العافية فإنه أحد الأعداء لك ولا تجعل مالك أكرم عليك من
 عرضك ، وإياك وكثرة البصاق بين الناس فإن صاحبه ينسب إلى التأنيت
 ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك فإنه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة
 ولا تمازح ليدياً فيحقد عليك ولا سفهاً فيجتري عليك ، لأن المزاح
 يخرق الهيبة ويسقط المنزلة ، ويذهب ماء الوجه ، ويعقب الحزن ، ويزيل
 حلاوة السرور ، ويشير فقه الفقيه ، ويجري السفية ، ويميت القلب ويباعد
 عن الرب ويعقب الندم ويفتق العزم ويظلم السرائر ، ويميت الخواطر
 ويكثر الذنوب ، ويبين العيوب نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى
 ويعافينا فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى ويبارك لنا فيما أعطى ويقينا
 شر ما قضى فإنه لا راد لما قضى ولا يعز من عادى ولا يذل من وإلى
 تبارك ربنا وتعالى نستغفره ونتوب إليه ونسأله أن يصلي بأفضل
 الصلوات كلها على عبده المصطفى وآله وأصحابه أعلام الهدى ويسلم
 تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
 النبي الأمين آمين .

تمت

فهرست الكتاب

صحيفة	مقدمة في حقيقة التصوف الذي	صحيفة
المراقبة بطريقة عملية على نهج الغزالي	انتهاجه الغزالي	١
٨١	ترجمة الغزالي	٢
تمام السمادة على ثلاثة أشياء	سبب تأليف الغزالي للمنقذ	٤
٨٣	حديث افتراق الأمة	٧
ما هو دواء أمراض القلب	مداخل السفسطة	١٠
٨٣	مقام الحيرة عند العارفين	١٤
٨٥	حيرة ديكرات والغزالي	١٥
٨٦	علم الكلام وتوصيله للحق	١٦
٨٧	تعطيل الأمة بمسائل علم الكلام	١٧
لم يصل الغزالي عن طريق الشيوخ	الفلسفة والفلاسفة	١٨
لا بد للناظر من روح ترافقه	عدم السير مع الغزالي في تكفير	٣٤
٨٩	فلسفة الإسلام	٤٣
٨٩	خلاصه لمبادئ فلسفه الإسلام	٤٤
حقيقة منهج الغزالي الذي وصل به	مناقشة الشيعة الامامية	٤٧
معنى ترك الدنيا عند الصوفية	طرق الصوفية	٥١
٩٥	تطور النصوص الإسلامية	٥٧
الذكر بمسبحة الصوفية	كيف تسير مع الغزالي في تصوفه	٥٩
٩٧	حاجة الروح إلى النبوة	٦٣
النية الصادقة ومعناها	عود الغزالي إلى العلم	٧٣
٩٩	الأنبياء أطباء القلوب	٧٥
١٠٠	خروج الغزالي للإرشاد	٧٧
١٠٣	عنوان معرفة النفس	٧٨
١٠٤	كيف تأخذ السعادة عن الأنبياء	
المشرف الروحي في طريقة الغزالي	أخصر طريق الموصول ملاحظة النبي	
هو النبي لا الشيخ	وتعشقه في الذكر دون روح الشيوخ	
١٠٥	حقيقة القلب	
كيف كان الشيخ عقبة في	ما يمكن معرفته للبشر من الروح	
الوصول بحث مهم جداً		
١٠٥		
خلاصة لأركان التصوف		
١١١		
العلماء بباب السلطان		
١١٤		
معنى الصوفي والتصوف		
١١٥		
معنى المشيخة عند السلف الصعبة		
١١٧		
تقليل الغذاء عند الصوفية		
١٢١		
أقل مراتب الذكر		
١٢٦		
آداب دخول المدينة		
١٢٧		
آداب التاجر		
١٢٨		
آداب مرشد الزواج		

مكتبة الشريعة

٩١ شارع جوهر القائد بسيدنا الحسين بمصر - تليفون ١٨٠٠

المطبوعات الآتية

١٠ تفسير جزء عم للعارف بالله الشيخ أبي محمد يوسف بن اسماعيل
وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو الملا المفاخر بقسم الوعظ
والإرشاد بالأزهر الشريف .

٢٠ منهاج العابدين إلى الجنة . ومعه الكشف والتبيين في غرور
أجمعين وبداية الهداية لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد الغزالي رضي
عليه الامتياز الشيخ المرحوم محمد محمد جابر المفتش بالأزهر الشريف

٣ مراتب الوجود وحقبة كل موجود

٣ نسيم السحر للامام الجليل بتحقيق وتعليق الأستاذ بدوي طه ملام
المدرس بالمدارس الاميرية .

٣ هم بطنى عبطنى للعارف بالله الجنبيسى وتقديم الأستاذ بدوي

٣ اعلام اهل البلد الحرام بأن بيع دور مكة وأخذ الكراه عنها

المكروه والحرام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود حسن ربيع المد

بالأزهر .

٢٠ ديوان خطب ومواعظ الجنبيسى ومعه متابعة الاسرار ومطالعة

الانوار للعارف بالله تعالى محمد الجنبيسى الشهير بالمسكين .

مكتبة الشريعة

٩١ شارع جوهر القائد بسيدنا الحسين بمصر - تليفون ١٨٠

المطبوعات الآتية

١٠ تفسير جزء عم للعارف بالله الشيخ أبي محمد يوسف بن اسماعيل
وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو الملا المفاخر بقسم الوعظ
والإرشاد بالأزهر الشريف .

٢٠ منهاج العابدين إلى الجنة . ومعه الكشف والتبيين في غرور
أجمعين وبداية الهداية لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد الغزالي رضي
عليه الامتياز الشيخ المرحوم محمد محمد جابر المفتش بالأزهر الشريف

٣ مراتب الوجود وحقبة كل موجود

٣ نسيم السحر للامام الجليل بتحقيق وتعليق الأستاذ بدوي طه ملام
المدرس بالمدارس الاميرية .

٣ هم بطنى عبطنى للعارف بالله الجنيدى وتقديم الأستاذ بدوي

٣ اعلام اهل البلد الحرام بأن بيع دور مكة وأخذ الكراه عنها

المكروه والحرام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود حسن ربيع المد

بالأزهر .

٢٠ ديوان خطب ومواعظ الجنيدى ومعه متابعة الاسرار ومطالعة

الانوار للعارف بالله تعالى محمد الجنيدى الشهير بالمسكين .

المنتقى من الضلالت

ومعه

كيميا السعيا والقول عند العشرة والأدب في الدين

للامامة الامام حجة الاسلام

ابن حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه

تطبق وتصحيح

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد جابر

المنش بالأزهر والمعاهد الدينية

حقوق الطبع محفوظة

يطلب من

مكتبة الجنادة

بسيدينا الحسين بمصر تليفون ٧٤٥١٨